344

HARLEQUIN

روايات أحلام

# قلب خائن

لي ولكنسون

www.elromancia.com

مرمورية

## قلب خائن

كان لدى شارلوت ميشيل مائة سبب وسبب للانتقام. ولم يكن أمامها سبيل للوصول إلى ذلك، سوى بالتقرب من رئيسها. لكن شارلوت لم تدرك أنها تخوض مغامرة تفوق قدراتها، لأن دانيل وولف لديه خطة مختلفة.

لم يكن دانيل بالرجل الذي يعبث معه. إنه يريد شارلوت... لكنه يريد أن يعرف ما الذي تخفيه عنه. لذلك قرر أن يستعمل نفوذه وأساليبه الخاصة. وهكذا وجدت شارلوت نفسها تعمل بشكل مباشر مع رئيسها ولكن... في منزله!

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان: | 2500 ل.ل | البحرين: | 1 دينار |
| سوريا: | 75 ل.س. | السعودية: | 10 ريال |
| الأردن: | 1.5 دينار | مصر: | 8 جنيه |
| الكويت: | 750 فلس | المغرب: | 15 درهم |
| الامارات: | 10 دراهم | تونس: | 2 دينار |
| قطر: | 10 ريال | عمان: | 1 ريال |

ISBN 9953-15-226-8

# روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Tycoon's Trophy Mistress
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© Lee Wilkinson 2003
Translation © Dar El-Farasha - 2004
ISBN 9953 - 15 - 226 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

# أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

# لي ويلكنسون

تعيش لي ويلكنسون مع زوجها في منزل ريفي مشيد من الحجر، يعود تاريخ بنائه إلى ثلاثماية سنة خلت، في قرية (ديربيشير)، التي غالباً ما تعزلها الثلوج شتاء. يتمتعان معاً بالسفر ومؤخراً قاما بالتعاون مع ابنتهما وصهرهما برحلة حول العالم دامت سنة كاملة دون انقطاع. من هواياتها القراءة والاهتمام بالحديقة وإقامة حفلات الشواء المفاجئة لعائلتها وأصدقائها.

# ١ ـ صياد في الفخ

في المركز الرئيسي لشركة «وولف العالمية» في لندن أخذ الرجل ذو العينين الرماديتين الباردتين يذرع أرض مكتبه الخاص متململاً كنمر في قفص.

ماذا يفعل إن لم تأت؟ ماذا لو أنها غيرت رأيها؟ ولكن ها هو يسمع صوت المصعد... وعلا هدير حركة السير في ساحة بيكاديلي. وما هي إلاّ لحظة حتى رأى من خلال ستائر النافذة القائمة بين المكتبين، الباب الخارجي يُفتح، ثم رآها تدخل منه لتقف خلف المكتب الفسيح.

شعر أحمر طبيعي، ساقان طويلتان، رشاقة وأناقة، إلى وجه بيضاوي وأنف مستقيم ووجنتين عاليتين وذقن حازمة وفم أشبه بفم صوفيا لورين في صباها.

كان شعرها مرفوعاً بشكل حلزوني ما أبرز ملامحها وعينيها المنحرفتي الزوايا بوضوح.

إنها تشبه فتاة أحلامه بكل مواصفاتها. مثل هذه المرأة لا يمكن أن تكون فارغة الرأس سطحية المشاعر كدمية مصنوعة من البلاستيك.

ثمة شيء خاص فيها، ربما هو تناسب تقاطيع وجهها، ما جعله خلاباً. ونظراً إلى نوعية عملها وما عرفه عنها، أدرك أنها ذكية حسنة المزايا. وهي صفات تنقص معظم الأخريات.

لقد نجح حتى الآن في تجنب أية علاقة عاطفية. لم يكن يبحث عن



www.elromancia.com

الذكاء والمزايا، بل عن مجرد وجه جميل لامرأة تتأبط ذراعه في المناسبات. وباختصار، لم يكن يفكر سوى بإشباع رغباته، بينما تبقى مشاعره هادئة لا تُمس. أمّا هذه المرة فمشاعره توصف بأي شيء ما عدا الهدوء وعدم المساس بها. لقد تملكته مشاعر هائلة عنيفة نحوها منذ رآها لأول مرة منذ ثلاثة أشهر. ولم يرها بعد ذلك سوى مرة واحدة ولفترة قصيرة وكان على وشك التوجه إلى المطار. فسأل المدير عمن تكون، فأجاب: «إنها أخت تيم هانت».

هزّه هذا الجواب بشكل سيء، ومرت لحظة قبل أن يقول بهدوء: «لم أكن أعلم أن لديه أختاً».

ـ قلة هم من يعرفون ذلك على حد علمي.

ـ ولكن، لا يوجد في هيئة الموظفين موظف آخر أو أخرى باسم هانت...

فقال تلفورد وهما يهبطان بالمصعد معاً: «اسمها شارلوت ميشيل».

انتبه دانييل فجأة وسأله: «هل هي متزوجة؟»

لطالما كان يتجنب النساء المتزوجات وكأنهن وباء.

ـ لا، إنها عزباء.

ـ لماذا اسم أسرتها مختلف إذن؟

ـ كان عليّ أن أقول بالضبط إنها أخت غير شقيقة لتيم هانت.

ـ هذا يوضح الأمور. هل لديك فكرة عما إذا كانت على علاقة حميمة بأخيها غير الشقيق ذاك؟

ـ أظنها كذلك.

ـ لكنها لم تحضر الجنازة.

ـ عندما حدث ذلك كانت شارلوت بعيدة، فقد أخذت إجازة لمدة خمسة أسابيع، إذ لم تكن إخذت إجازتها السنة الماضية، وعندما سمعت بالخبر وعادت بالطائرة كان كل شيء قد انتهى.



عاد دانييل يسأله وهما يتوجهان إلى سيارته الليموزين: «كم يبلغ عمرها؟».

ـ لا أتذكر تماماً. بين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين.

ـ ما هو عملها بالضبط؟

ـ شارلوت تعمل مع فريقنا الرئيسي للأبحاث، حيث يدرسون أحوال السوق الجارية، ويضعون توقعات للمستقبل.

ـ هل تعمل هنا منذ وقت طويل؟

ـ بدأت العمل مع بداية السنة الماضية، في شباط كما أعتقد.

ـ ماذا بالنسبة إلى حياتها الخاصة؟ هل لديها أصدقاء أو صديق خاص مثلاً؟

فقطب المدير حاجبيه: «لا أدري».

بدا واضحاً أن مثل هذه الأسئلة الخاصة لا تعجب المدير.

ـ ما مدى انسجامها مع الرجال الذين تعمل معهم؟

ـ جيد جداً، رغم أنها انعزالية قليلاً. فهي دوماً مهذبة ودودة.

ـ أليس ثمة غزل في المكاتب من أي نوع؟

ـ لا أعرف شيئاً عن ذلك. وفي الواقع، هناك إشاعة تقول إنها تتجنب الرجال منذ ان انفصمت خطبتها أوائل هذه السنة.

ـ فهمت. هل هي جيدة في عملها؟

ـ ممتازة، إنها أحد أفضل الأدمغة في الفريق. لكنها بقدر مهارتها، لطيفة حساسة. وقد كانت حزينة للغاية لموت أخيها.

أمسك تلفورد الباب الرئيسي، ثم قال بلهجة حزينة: «بعد أن قرأت التقارير في الصحف وسمعت الأقاويل، تملكها الغضب وشعرت بالاستياء البالغ. إنها تظنك الملوم لما حدث له...»

ومرّ بهما شخص فخفض المدير صوته: «قدمت استقالتها لكنني لم أشأ أن أخسرها. وهكذا نصحتها بأن تأخذ إجازة لبعض الوقت ثم

تعاود التفكير في الأمور. شعرت بالدهشة والسرور معاً عندما اختارت العودة».

ضاقت عينا دانييل. معظم نسائه كن سهلات، إلى حد يصيبه بالملل. وحدثته نفسه بأن هذه المرأة لا يمكن أن تكون سهلة، وأنها ربما ستشكل له أبلغ التحديات التي صادفها على الإطلاق. لكنه نموذج الرجل الذي لا يستسلم. إنه دوماً يعرف كيف يحصل على ما يريد. وهو يريد هذه المرأة، يريدها أكثر مما أراد امرأة منذ وقت طويل. وتساءل عما إذا كان عليه أن يلغي رحلته ويعود إليها الآن.

إذا تمكن من إيضاح كل شيء، سيتمكن من القيام بحملته على الفور دون انتظار. لكن غريزته نبهته كي لا يفعل ذلك وإلا أفسد كل شيء. من الأفضل أن يتذرع بالصبر بعض الوقت. وهكذا ناول سائق الليموزين حقيبته، كارهاً، ثم صافح مديره واستقل السيارة نحو المطار.

ومن نيويورك، كلّف آلن شيرينغ، المخبر السري المقيم في لندن في شارع بيكر، بالاستعلام عن كل ما يتعلق بشارلوت ميشيل وما إذا كان لديها صديق خاص.

جاءه في التقرير الذي قدّمه له هذا الأخير، أن ليس ثمة أثر لصديق خاص ماضياً وحاضراً باستثناء خطيبها السابق. وعرف أيضاً مقداراً كبيراً من المعلومات عنها، بما في ذلك استمتاعها بالأسفار، وكانت قد صرحت في إحدى المرات أنها تتمنى السفر إلى الولايات المتحدة.

قرر دانييل وضع خطة بناء على هذه المعلومة، خطة تقرّبه، إذا نجحت، خطوة إلى هدفه، وذلك بإبعاد نفسه وشارلوت معاً عما حدث في لندن. واتصل بتلفورد هاتفياً يقول: «قررت إجراء تبادل بين المستخدمين، كي يكتسبوا خبرة، ويعرفوا الفرق بين العمل في إنكلترا والعمل في الولايات المتحدة».



فسأله المدير بحذر: «ماذا يدور في ذهنك بالضبط؟»

ـ فلنقم بتجربة في البداية؛ بأن يأتي أحد أعضاء فريق الأبحاث من مقرّنا في لندن فيتبادل المهمات مع أحد أعضاء الفريق في نيويورك، لكي يرى كلاهما الفروق الممكنة في اتجاه السوق.

ـ ما طول المدة التي تقترحها؟

ـ ستة أشهر، سنة... سنرى كيف ستجري الأمور.

ـ هل في ذهنك شخص معين؟

ـ هنا عندنا فتى يُدعى ماثيو كيرتس وهو متلهف لهذه التجربة.

ـ ومن مقرنا في لندن؟

كان دانييل يعلم أن الانتقال يجب أن يكون اختيارياً فاقترح بشكل عفوي: «ما رأيك في أن تسأل إن كان هناك من يرغب بذلك؟»

ـ لا أدري كيف سيكون استقبالهم لهذا المشروع. معظم أعضاء فريقنا هم إما متزوجون وإما مرتبطون بعلاقة ما، وهم لا يرحّبون بأمر كهذا. ومع ذلك سأعرض الأمر، وأرى من سيستجيب لذلك.

ـ افعل ذلك إذن.

وانتظر دانييل بما أمكنه من صبر.

وأخيراً لم يستجب لهذا النقل المؤقت سوى شخصين، هما بول رولاند، أحدث عضو في الفريق، وشارلوت ميشيل. ما أثار دهشة الرجلين، تلفور ودانييل وولف.

تساءل دانييل عما جعلها تطلب ذلك ولكن إذا كان شيرينغ، المخبر السري، على صواب، ليس لديها ما يجعلها تبقى في لندن. وربما كانت تشعر برغبة في التغيير، وتبحث عن فرصة تترك فيها الماضي خلفها. كان سروره عظيماً بنجاح خطته، ولم يكد يستطيع إخفاء نفاد صبره. فهذه الأسابيع الأخيرة بدت له دون نهاية، ما جعله قلقاً غير راضٍ ومتلهفاً كصبي. وسأله تلفورد: «هل تفكر في مقابلة المرشحين بنفسك؟»



www.elromancia.com

فأجابه راغباً في أن يبدو كل شيء طبيعياً: «لا، سأدع ذلك لك. لكنني سأراقب الأمر بنفسي، إذ لدي اهتمام شخصي بالنتيجة. عندما تقرر اليوم المناسب سأستقل الطائرة إلى لندن. ولكن لا أريدك أن تعلن عن قدومي، ولا ترسل السيارة إلى المطار، أنا أفضل أن أتسلل دون أن يلحظني أحد».

ثم اقترب اليوم الحاسم، وسارت الأمور على ما يرام حتى الآن. كان تلفورد قد تحدّث إلى بول رولاند هذ الصباح فلم يعجبه، واقتنع بأنه غير مستعد بعد لأن يفيدهم في أمر كهذا.

والآن، بعد الغداء، جاء دور شارلوت للمقابلة. جلس دانييل في مكتب تلفورد ينتظرها. وراح يتساءل ما إذا كانت حقاً بنفس الجمال الذي رآها عليه. أم أنه، في رؤيته الثانية لها، سيصاب بخيبة أمل؟

ولكن عندما بدت أخيراً، تنهد... فقد رآها أجمل مما يتذكرها. شعر أنها مألوفة لديه بشكل غريب وكأنه يحمل صورتها في جيبه.

أخذ يراقبها من خلال الستارة المعدنية، ولاحظ أنها تنتظر تلفورد بهدوء، دون تململ أو إظهار عدم الصبر.

ومع ذلك، ظهر شيء من التوتر بدا على كتفيها، ما أنبأه أنها ليست من الهدوء كما بدت له في البداية. وأن نتيجة هذه المواجهة تهمها كثيراً.

أثناء انتظارها للسيد تلفورد، حاولت أن تهدىء أعصابها وتركز تفكيرها على المقابلة القادمة. يا ليتها تنجح لتنتقل إلى الولايات المتحدة!...

بعد طول تفكير دون جدوى في طريقة تطلب بها نقلها، إذا بهذه الفرصة تهبط عليها من السماء.

إنها طبعاً ستكون بعيدة عن مكتب دانييل وولف، حتى إنها قد لا تعمل في المبنى نفسه. ولكن بما أنه يعيش في نيويورك، ستكون فرصتها في لقائه هناك أقوى منها في إحدى زياراته النادرة إلى لندن.



عندما يحضر إلى مقره في لندن كانت تعلم ذلك من الضجة التي يحدثها مجيئه بين الموظفين، لكن نظرها لم يقع عليه قط شخصياً. كل ما رأته منه هو صوره في الصفحات الاجتماعية في المجلات.

كان وسيماً بقامته الفارعة وكتفيه العريضتين وشعره الأسود الجعد قليلاً وعينيه اللامعتين الثاقبتين تحت حاجبيه الحسني التكوين. لكنها وسامة تختلف عن وسامة الممثلين السينمائيين. فقد بدا خشناً جذاباً ذا ذقن مشقوقة وفم كان تأثيره عليها غريباً...

كان الرجل مركز اهتمام أخبار الصحف المثيرة، وطالما كانت قصص آخر «غزواته» قريبة من السفاهة.

حتى أشهر قليلة مضت، بلغ اشمئزازها من كل هذه البذاءة أوجه، فأخذت تتجنبه قدر إمكانها.

أما الآن فقد تغيرت الأمور تماماً، وأصبح هدفها الوحيد في الحياة هو التعرف إليه والتقرب منه. أصبح ذلك رسالتها.

في آخر زيارة له ورغم كل جهودها، لم تستطع أن تحظى ولو بنظرة منه. وعندما وجدت أخيراً عذراً لتصعد إلى الطابق الأعلى الخاص به، إذا بها تكتشف أنه لم يبق لديه سوى تلك الدقيقة ليذهب إلى المطار.

وبدلاً من استسلامها للفشل، قوّى ذلك من عزيمتها. وأثناء الأسابيع التالية، أثناء محاولتها وضع خطة عملية تصل بها إلى هدفها، أخذت تتابع الصحف وعرفت كل شيء عنه. كان دانييل وولف مقاولاً من الدرجة الأولى. هو إنكليزي أميركي من خلفية ثرية، معروف في دنيا الأعمال بمقدرته، وفي العالم الخارجي بحبه للإحسان وعمل الخير. قيل عنه إنه مجتهد في العمل والعبث. كان دانييل حديث الساعة ومركز اهتمام الصحافة على جانبي الأطلنطي.

ولد من أم إنكليزية وأب أميركي، تعلم في جامعتي كولومبيا وكمبريدج، وبعد تخرجه استلم إدارة شركة عرّابه لبرمجة الكومبيوتر.

وعندما انتعشت الشركة وثبتت أقدامها، أخذ يشتري غيرها من الشركات المتقلقلة فيعمل على تحسين أحوالها وتقويتها.

والآن، ولم يكد يتجاوز الثلاثين، أصبح مليونيراً يحيط به الإعجاب والحسد، والمهابة والاحترام.. والشتائم أحياناً..

بالرغم من كل ذلك الخوض في سيرته، استطاع أن يبقي حياته الخاصة في معزل عن الآخرين. وهكذا رغم أن شارلوت أصبحت عالمة بصورته الاجتماعية، إلا أن ما عرفته عن الرجل نفسه كان قليلاً. لقد وصفته مقالة حديثة في مجلة «رجال القمة»، بأنه أعزب لا يتوب. لكنه أعزب يحب النساء، خصوصاً الجميلات منهن.

عندما كانت صورته تظهر في الصحف، بعد كل زيارة إلى لندن، كانت هناك دوماً شقراء أو حمراء الشعر تتأبط ذراعه.

لطالما تمنت شارلوت لو أنها لم تصب بلعنة الجمال التي كانت تجذب إليها الجنس الآخر كالمغناطيس ولو أنها فتاة عادية تعيش حياة بسيطة خالية من كل تلك المشاحنات التي ملأت حياتها.

لقد لاحقها الرجال، مفتونين بوجهها وجسدها، منذ كانت في الخامسة عشرة. انتباههم لها الذي لم تكن تريده أو تبحث عنه، ومثابرتهم على ذلك، جعلها تختبىء خلف مظهر بارد لم يستطع أن يخترقه سوى بيتر. ثم، كل ما حدث بعد ذلك كان لأسباب خاطئة.

مسكين بيتر!.

ولكن إذا كان بإمكان جمالها الذي تستخف به أن يجذب دانييل وولف، فهو يستحق كل المشاكل التي سببها فيما مضى.

لم تتصور نفسها قط تستخدم جمالها في أسر قلب رجل لكن إدراكها أنها من نوع النساء الذي يحبه، كان منحة غير متوقعة ساعدت على تقوية عزمها.

إذا كان يبحث، كالعادة، عن علاقة مؤقتة، دون إشراك عواطفه



فيها، سيكون الأمر مستحيلاً.

ولكي تنجح في ما هي مقدمة عليه، لا يكفي أن تجعله يرغب بها بل أن يحبها أيضاً.

في تلك اللحظة انفتح باب المكتب ودخل السيد تلفورد فنظرت إليه بشيء من الارتباك وقد احمر وجهها وكأن بإمكانه أن يقرأ أفكارها.

سار المدير الأشيب الشعر إلى مكتبه، قائلاً: «اجلسي يا عزيزتي شارلوت. آسف لتأخري عليك فقد تأخرت أثناء الغداء».

جلست أمامه وهي ما زالت في مظهرها الهادىء البارد وكأن هذه المواجهة لا تهمها كثيراً.

قال لها بلطف: «أنت إذن ما زلت مهتمة بالانتقال إلى نيويورك».

ـ نعم.

وتمنت أن لا تبدو متلهفة كما تشعر.

ـ أواثقة أنت؟ قد يعني هذا مزيداً من الاحتكاك مع السيد وولف.

كان هذا أقصى ما يستطيعه من تحذير. وقالت: «تماماً».

بدت له أنها تريد أن تضع الماضي وراءها، فشعر بالارتياح: «ربما بإمكانك أن تخبريني عن السبب»؟

لقد توقعت هذا السؤال فأعدّت له الجواب: «عدا عن اكتساب مزيد من المعرفة بالأسواق الأميركية وهو أمر لا يثمّن، قد يكون في ذلك فرصة للمقارنة بين طرق عمل مختلف الفرق. تنبؤات فريق نيويورك دقيقة إلى حد بالغ، وفكرت في أنني قد أتعلم شيئاً».

فقال باسماً: «جواب نموذجي. رغم أنني اشتبهت في أن لديك سبباً شخصياً لرغبتك في الانتقال».

جمدت في مكانها، يبدو أنه عرف بأمرها ولكن هذا غير ممكن: «ماذا تعني بقولك: سبباً شخصياً»؟

فقال غامزاً بعينه: «ألم تخبريني مرة أنك تتمنين لو أن الفرصة تسنح



www.elromancia.com

لك للعيش في نيويورك»؟

- نعم، نعم، قلت هذا، ويدهشني أن تتذكر ذلك. هل وجود سبب شخصي يجعلني غير مؤهلة للنقل؟

- كلا الطبع. مجرد رغبتك في العيش هناك هي علامة إيجابية.

فتنفست الصعداء بصوت مسموع.

- في رأيي، أنت مناسبة تماماً للنقل رغم علمي أنهم سيفتقدونك في الفريق. سأبلغ السيد وولف بالأمر.

ابتسمت وأشرق وجهها: «هذا رائع».

طرف بعينيه وهو يشكر الله على أنه رجل سعيد جداً في زواجه.

رغم أنها أمضت مع الشركة عامين، إلا أن جمالها لم يفشل قط في التأثير عليه: «إذا وافق السيد وولف، وأنا واثق من هذا، سندفع لك طبعاً كل تكاليف السفر وسوف تقيمين في إحدى شقق الشركة. هل لديك فكرة عن طول فترة استعدادك للسفر»؟

- سأكون مستعدة في أي وقت تشاؤون.

- حيث أن عيد الميلاد سيحلّ بعد أقل من أسبوعين، أظن أن منتصف شهر كانون الثاني سيكون مناسباً. هل في تركك شقتك أية مشكلة؟

- لا، فأنا أشترك مع صديقة لي في شقة مستأجرة، وهي ستجد بسهولة من يحتل مكاني أثناء غيابي.

- هذا جميل. إذن، حالما أتبادل كلمة مع السيد وولف، سأخبرك.

- شكراً.

عادت إلى مكتبها وساقاها لا تكادان تحملانها، ومكتبها هو واحد من مجموعة مكاتب صغيرة تخص فريق الأبحاث والتحليلات.

كانت أفكارها مضطربة. لقد نجحت في الخطوة الأولى، إلاّ إذا اعترض دانييل وولف. ولكن لماذا يعترض؟ إنها وتيم باسمي عائلتين



مختلفتين، كما أنها كانت خارج البلاد عندما حدث الأمر، فهي لم تكن شريكة في ما حدث. ولهذا ليس لديه فكرة عن أية علاقة بينهما. وشعرت بجسمها كله يتوتر عندما عادت إليها مشاعر الغضب والكراهية.

بعد أن ترك تيم كلّيته، وابتعد عن تلك الشلة من رفاق السوء الذين كان يصاحبهم، بدا وكأنه تخلص من عجزه وعدم مبالاته اللذين كانا يقلقانها.

استقر في وظيفته الجديدة في شركة «وولف العالمية» وكانت شارلوت قد سعت له بها، وشعر بالثقة في مستقبله. ثم وقع في غرام جانيس جيفري الشقراء الجميلة التي تعمل في المكتب التالي لمكتبه.

وجانيس، بدورها، فُتنت بالشاب الأشقر العملاق ذي العينين الخضراوين البراقتين والابتسامة الجذابة.

وعندما اكتشفا أن تجاذبهما مشترك، قررا أن يتزوجا في شهر أيلول.

ولكي تساند تيم، ضغطت شارلوت نفقاتها إلى حد كبير، ولم تكن قد أخذت إجازة منذ ابتدأت وظيفتها الحالية. ولهذا كانت تستحق خمسة أسابيع عطلة. وهكذا عندما توفرت لها ولصديقتها كارلا، وفي آخر لحظة، نزهة بحرية في الجزر اليونانية، تلقتها سعيدة، غير قلقة على الإطلاق من ترك الخطيبين الفتيّين.

وأثناء غيابهما حدث الأمر فجأة، مخلفاً صدمة بالغة. وعندما وصلهما النبأ وعادتا من أثينا، كان الأوان قد فات. يبدو أن تيم قد جرع مزيجاً مهلكاً من شراب وحبوب مخدرة، في محاولة لنسيان همومه. وهكذا مات ودُفن، دون أن يستطيع أحد مساعدته.

ورغم أن كلمة القضاء كانت واضحة وهي تقرر أنه (موت غير مقصود). إلا أن الصحف الصفراء اشتمّت رائحة قصة. وعندما اكتشفت أن شجاراً في أحد مكاتب شركة «وولف العالمية» حدث بينه



www.elromancia.com

وبين دانييل وولف نفسه، ابتهجت بهذا النجاح الباهر. ولم تترك القضية إلى أن توصلت إلى حقيقة أن خطيبة تيم كان لها ضلع في الحادث، وشككت في أن هناك حباً ثلاثياً، ملمّحة إلى إمكانية أن يكون الأمر انتحاراً.

وندمت شارلوت بمرارة على سفرها، وأخذت تلوم نفسها معتبرة أنها لو كانت موجودة لربما اختلفت الأمور. لو كان ما تشتبه فيه الصحف صحيحاً، لكانت تمكنت من مساعدة تيم، كما كانت تفعل يومياً طوال السنوات الخمس الماضية.

قفزت وهي ترى باب المكتب يُفتح، ورفعت بصرها والكآبة بادية على وجهها. فقال السيد تلفورد باسماً: «لا داعي للقلق، فقد تحدثت إلى السيد وولف وهو مستعد تماماً لقبول تزكيتي لك. هناك أمر واحد فقط، إنه يريدك أن تسافري إلى أميركا في أسرع وقت ممكن وبهذا يمكنك الاستقرار قبل العيد».

عضت شفتها لتكبح موجة الإثارة المفاجئة. أخطأ تلفورد في تفسير ردة فعلها هذه، فقال: «ربما هذه سرعة بالغة؟ أنا واثق أن السيد وولف سيكون متفهماً تماماً إذا كنت تفضلين قضاء العيد في بيتك بين أحبائك».

فهزت رأسها: «لم يبق لي أحباء لأمضي العيد في بيتي. وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أطلب الانتقال».

وإذ تذكر انفصام خطبتها وما حدث لأخيها، استاء من نفسه لعدم حساسيته وقال متكدراً: «عفواً يا عزيزتي، لم أكن أفكر، مع الأسف».

ـ لا بأس. لا بد أن عيد الميلاد في نيويورك رائع.

ـ أرجو أن يكون كذلك.

فقالت بحرارة: «أنت بالغ اللطف».

ـ ماذا سيحدث بالنسبة إلى عملك؟ هل هناك من سيستلم منك؟

ـ هذا لن يكون ضرورياً. يمكنني أن أنهي آخر تقاريري عصر



اليوم.

ـ متى تظنين نفسك قادرة على السفر؟

خفق قلبها وقالت: «كل ماعليّ القيام به هو حزم أمتعتي. وهكذا يمكنني السفر غداً... إذا كان بالإمكان العثور على مقعد في الطائرة في هذا الوقت القصير».

ـ شركتنا لديها حصة كبيرة في إحدى شركات الطيران العابرة للأطلسي، وبهذا لن تكون هناك مشكلة. سأطلب من سكرتيرة السيد وولف أن تنجز كل الإجراءات. ستعطيك كل المعلومات الضرورية وترتب أمر سيارة تأخذك إلى المطار حيث ستكون تذكرة السفر بانتظارك. ستدفع الشركة كل نفقات سفرك، بالإضافة إلى راتب هذا الشهر الذي سيكون في يدك كالعادة.

ـ شكراً.

التفت إليها عند العتبة، وقال: «ستتخذين جانب الحذر أليس كذلك...؟»

رغم أن ذلك لم يكن من شأنه أبداً، إلا أنه كان خائفاً من دوافع دانييل وولف واهتمامه الذي لا يكاد يُخفى، حتى إن تلفورد بدأ يشك في أنها خطة متعمدة. ولكن، لمعرفته بشعور شارلوت نحو دانييل، حدثه المنطق بأنها لن تتعرض معه لأي خطر.

وأجابته باسمة: «طبعاً».

ـ ولا تنسي أن تعودي إلينا.

بهتت ابتسامتها للحظة... لقد سبق وفكرت في أنها لن تعود أبداً إلى شركة «وولف العالمية». لقد انطوى ذلك الفصل من حياتها...

سواء نجحت في مهمتها أم لا، فقد حان الوقت لتضع الماضي خلفها إذا استطاعت، وتنتقل إلى مكان آخر... لكنها ستنجح! إنها تقسم على ذلك، ستنجح لكي تجعل لبقية حياتها معنى.

كان الباص، بنوافذه المغطاة بالمطر الخفيف، يزحف في زحمة سير مساء الخميس التي كانت أشد من العادة. ما إن نزلت شارلوت في شارع «بيلتون» ودخلت إلى شقة «بيز ووتر» حتى تبددت حماستها وثقتها بنفسها. علقت معطفها وسترتها قبل أن تدخل إلى المطبخ المتألق الصغير، حيث كانت رفيقتها كارلا تقف بجانب الموقد وهي تبدو كالقطة بشعرها القصير الأسود الذي يقف منتصباً فوق وجهها المثلث المتوهج قليلاً. كانت كارلا تحرك فوق النار مرقاً في قدر تفوح منها رائحة الأعشاب.

ـ فكرت في طهو عصيدة اللحم والسمك اليوم، إذا كانت تعجبك. ماذا حدث؟ هل نجحت؟

ـ نعم، نجحت.

ـ هذا رائع! إذن، فقد عدت إلى التعلّم أخيراً. هل ستغيبين طويلاً؟

ـ لا أدري، كل هذا يعتمد على كيفية سير الأمور. يقول المدير إن المدة ستة أشهر وقد تمتد إلى سنة... لكنني أرجو أن أعود قبل ذلك بوقت طويل. أظنك ستبحثين عن فتاة أخرى تشاركك الشقة؟

فقالت كارلا التي كانت تدير مع صديقة أخرى، هي ماسي، متجراً نسائياً ناجحاً تماماً: «لا أظن ذلك فأنا لا أدري كيف سأتابع العيش مع فتاة أخرى. هل لديك فكرة متى سترحلين؟».

ـ غداً.

ـ غداً؟ بهذه السرعة؟.

ـ يريدونني أن أستقر قبل عيد الميلاد. هل لديك مانع؟

ـ طبعاً لا. هل أخبرك بالحقيقة؟ أندرو يصر عليّ بأن أذهب معه إلى اسكوتلندا قبل العيد بيومين. أسرته تعيش في داندي.

ـ لم تخبريني بذلك.

ـ لم أستطع أن أقرر ما إذا كنت أريد أن أذهب أم لا.



أدركت شارلوت أن كارلا لم تكن لتتركها وحدها، وشعرت بالشكر لهذه الصديقة الوفية. ولعلمها بأن صديقتها هذه يربكها أي إظهار للعطف، قالت: «لكنك ستذهبين الآن كما أرجو؟»

ـ أظن ذلك، رغم أن المتجر سيكون مزدحماً عند ذاك. وقد عرضت ماسي أن تبقيه مفتوحاً ليومين إضافيين على أن تمدد عطلتها لرأس السنة الجديدة بالمقابل.

هرست المعكرونة بين إصبعيها ثم قالت: «لقد نضج الطعام. يمكنك أن تخبريني بكل التفاصيل أثناء تناولنا الطعام، وبعد ذلك أساعدك في حزم أمتعتك».

ثم تابعت راضية: «أنا أحسنت في الحقيقة عندما أرغمتك على أن تشتري كل تلك الملابس الجديدة في أوكازيون الخريف... عندما تضعين مخالبك على دانييل وولف وتجبرينه على الركوع على ركبتيه، سنحتفل بنجاحك معاً».

فأسرعت شارلوت تقول: «لا أظن بإمكاني ذلك».

فالتهبت عينا كارلا السوداوان: «بل يمكنك طبعاً. حقير من هذا النوع يستحق مثل هذا العقاب».

ـ ولكن حتى لو استطعت أن أجتذبه، لا أظنني ممثلة جيدة إلى حد أتظاهر معه بأنني أحبه بينما أنا أكرهه وأشمئز منه.

ـ بل أنت كذلك. ألم تمثلي معنا في المدرسة دور «المرأة المهلكة» فأجدت دورك؟

ـ هذا أمر مختلف...

ـ يمكنك أن تقومي بذلك!

ـ أنا لست واثقة تماماً... الأمر هو أنه بقدر ما هو غني، هو جذاب إلى حد بالغ، وبهذا هو...

ـ كيف عرفت أنه جذاب إلى حد بالغ؟



www.elromancia.com

- رأيت صوره في الصحف.
- قد تعطي صور الصحف تأثيراً خاطئاً.
- دوماً هناك امرأة تتأبط ذراعه.
- هذا لأنه غني. أنت تعرفين ما يقولون عن أصحاب الملايين، النساء تحبهم حتى ولو كانوا صلعاً، مندلقي البطون، ولا يتجاوز طولهم المئة والثلاثين سنتيمتراً.
- طوله ستة أقدام على الأقل، وشعره كث للغاية وهو بالغ الجاذبية.
- بل أراهنك على أنه أحول العينين ذو رائحة فم كريهة إذا اقتربت منه.

ابتسمت شارلوت: «أرجو أن يكون كذلك، هذا إذا استطعت أن أقترب منه، وأفضّل عدم حدوث ذلك. ولكن ما أريد أن أقوله هو أنه، بالإضافة إلى ثرائه، ذكي ماهر. ولا أدري إن كنت أستطيع أن أجذب رجلاً مثله».

رفعت كارلا عينيها إلى السماء وكأنها تطلب الصبر: «أنت تجذبين الجنس الآخر منذ كنت في المدرسة، حتى دون أن تحاولي ذلك».

- لكن دانييل وولف مختلف. إنه يعيش في عالم مختلف مليء بالنساء، ويمكنه أن يختار منهن من تعجبه. وقد لا تعجبه واحدة مثلي.
- بل سيهتم بك.
- ما الذي يجعلك واثقة بهذا الشكل؟
- إنه رجل، أليس كذلك؟
- نعم.
- وغير شاذ؟
- بالتأكيد، تقريباً.
- سجلي قولي هذا إذن! إنه سينهزم أمامك.

* * *



## ٢ - في حضن العدو

أخذ عقل شارلوت يدور في حلقة مفرغة، مفكراً، مخططاً، محلّلاً، غير قادر على الراحة. بقيت مستلقية أرقة معظم الليل، ونهضت عند الصباح منتفخة العينين مصدوعة الرأس، ثم وضعت عليها معطفها المنزلي الصوفي القديم.

كان الجو في الخارج أغبر عابساً ضبابياً. عندما دخلت المطبخ كانت كارلا في كامل ملابسها، تعدّ القهوة والتوست. فقالت لها: «تبدين وكأنك شيء جرته القطة من الخارج».

فقالت شارلوت: «أشعر فعلاً بأنني كذلك».

- ألم تنامي جيداً الليلة؟
- ليس كثيراً.
- عليك أن تعتني بنفسك أكثر من هذا. لو رآك دانييل وولف الآن، لهرب منك.

عندما جلستا لتناول الفطور، قالت كارلا: «أرى أن أفضل طريقة للتقرب منه هي أن تلتمسي حسّ الحماية فيه، هذا إن كان لديه ذلك الحسّ. وتبعاً لخبرتي، الرجال يحبون الفتاة التي تبدو عاجزة متسعة العينين».

فقالت شارلوت تعترض: «لست واثقة أن بإمكاني أن أبدو عاجزة متسعة العينين».



www.elromancia.com

ـ حاولي! هذا يغذي غرورهم، صدقيني.

ـ أنا أصدقك، ولكن...

ـ إلى أي حد تنوين الوصول معه؟ أعني لكي تصطاديه. هل تنوين أن تقيمي معه علاقة؟.

تملكت شارلوت رجفة لهذه الفكرة وقالت بعنف: «كلا. لا أريد ذلك بكل تأكيد».

ـ اسمعي، لا تدعي الذئب الكبير السيء ينفرد بك. إذ لا تعلمين ما قد يحدث. إذا كان معتاداً على الحصول على مايريد، ربما يصبح غاية في اللؤم...

بعد أن حذرتها ونصحتها، عانقت كارلا صديقتها بسرعة تودعها: «الأفضل أن أذهب. الازدحام يكون شديداً أيام الجمعة، خصوصاً أن العيد على الأبواب. آه، بالمناسبة، تركت لك هدية عيد الميلاد على خزانة الكتب. لم يسمح لي وقتي بأن ألفّها. يمكنك أن تستعمليها متى شئت».

وعند الباب التفتت تقول: «اتصلي بي دوماً. سأفتقدك».

ذهبت شارلوت إلى غرفة الجلوس فوجدت الهدية، وهي عبارة عن حقيبة يد سوداء وذهبية، تحتوي على جوربين من الحرير الخالص وزجاجة من عطرها المفضل «داون فلايت».

ابتسمت بمحبة لكرم صديقتها، وذهبت لتحضر الكتاب الذي كانت كارلا قد طلبته وهو «ثلاثية كاريلّون».

وكانت شارلوت قد فتشت عنه في المكتبات فأخبروها بأنه نافد من السوق، ولكن بعد أسابيع من مواصلة البحث كانت محظوظة إذ وجدت الأجزاء الثلاثة في مكتبة للكتب المستعملة.

اغتسلت وصفّفت شعرها الأحمر الذهبي على شكل كعكة، ثم ارتدت بذلة خضراء اللون مع بلوزة حريرية تبنية اللون. وأقفلت حقيبتها، ثم سارت لتقف عند النافذة وقد تملكها التوتر.



كانت تنظر إلى الشارع الرطب عندما رأت سيارة ليموزين فارهة زرقاء اللون تقف أمام المنزل. وبعد لحظة، نزل منها سائق يرتدي بزة رسمية وقرع الباب، فأسرعت تفتحه.

ـ صباح الخير يا آنسة ميشيل.

ـ صباح الخير.

ـ هل يمكنني أن أحمل أمتعتك؟

ـ شكراً.

حمل حقيبتها بينما أقفلت الباب ووضعت المفتاح في صندوق الرسائل، ثم تبعته إلى حيث فتح لها باب السيارة بطريقة مهذبة.

أحنت رأسها وابتدأت تدخل إلى السيارة قبل أن تدرك أن رجلاً أسود الشعر، يرتدي بذلة عمل رمادية وقميصاً باهت اللون، قد سبقها إلى الجلوس هناك.

جعلتها الدهشة تخطىء في رؤية موضع قدمها فتعثرت حتى كادت تسقط في حجره، بينما أصبح وجهه على بعد إنشات من وجهها. أسندها الرجل حتى استقامت في جلستها، ثم ناولها حقيبة يدها التي سقطت من يدها وهو يقول بصوت جذاب: «آسف لأنني أجفلتك».

ـ فقط لم أكن أتوقع...

وتلاشى صوتها عندما أدركت من يكون رفيقها في السيارة. لا... هذا غير ممكن!. لكنه صحيح.

رغم أنها لم تكن قد رأت سوى صورته، إلاّ أنها لم تخطىء في تمييز ذلك الوجه الخشن، وذلك الرأس المنتصب بكبرياء والمغطى بالشعر الأسود. لقد بدا شخصياً أكثر جاذبية منه في الصور، بدت عيناه اللتان تنظران إليها مباشرة محيرتين... فهما رماديتان مائلتان إلى اللون الفضي، متألقتان تحت أهداب كثيفة سوداء.

تسارعت خفقات قلبها وتعثرت أنفاسها بينما شملتها موجة من



www.elromancia.com

الكراهية الخالصة. أخذت تحدّق في عينيه الجذابتين كالمنوّمة مغناطيسياً عندما ذكّرها بأدب: «لا تنسي أن تربطي حزام مقعدك، يا آنسة ميشيل».

ولكن يبدو أن ذهنها توقف عن التفكير، فلم تستطع أن تحرك أصابعها. وعندما حاولت أن تقفل حزامها عبثاً، انحنى هو وقام بذلك لأجلها.

عندما سارت بهما السيارة، شعر بفرح صبياني وشملته موجة من الشعور بالانتصار. بعد كل تلك الأشهر من الانتظار، ها هي ذي أخيراً تجلس بجانبه. بدت مذهلة الجمال عن قرب، بشرتها لا عيب فيها... بشرة ذهبية كالقشدة غير شاحبة كبشرة معظم ذوات الشعر الأحمر. أما عيناها! كان قد راهن نفسه على لون عينيها. ربما هما زرقاوان وهذا حسن جداً... لكن تلك الخضرة الداكنة الصافية كانت تخطف الأنفاس.

رغم أنها كانت تنظر إليه بطريقة أدرك بها أنها عرفته، إلا أنه قرر أن يأخذ المبادرة في الحديث، فمد يده: «أظن عليّ أن أقدم نفسي. أنا دانييل وولف».

فصافحته بحركة آلية. كانت يده باردة جافة وقبضته على أصابعها حازمة، لكنها سرعان ما سحبت يدها وكأنها لمست حية، قبل أن يقول بأدب: «أنا مسرور بمعرفتك يا آنسة ميشيل».

أذهلتها هذه المواجهة الفجائية فلم تجب، وبدا أن ذهنها غير قادر على استيعاب الوضع. كل ما استطاعت التفكير فيه هو أن هذا اللقاء جاء أسرع مما يجب، فهي غير مستعدة له بعد. ظلّت ملامحها جامدة خالية من التعبير كأنها تقف أمام الكاميرا لتأخذ لها صورة لجواز السفر، ما جعل دانييل يحبس أنفاسه.

لو أنها صدقت ولو جزءاً قليلاً مما كتبته الصحف الصفراء، فهذا لن يدع لها مجالاً لأن تحبه. بدأت ثقته بنفسه تهتز، وراح يتساءل عما



ستكون ردة فعلها عندما يتواجهان أخيراً. إنها عقبة عليه أن يتجاوزها. والآن وقد حلّت اللحظة الفاصلة، لم يكن عليه سوى أن ينتظر تبادل الاتهامات. لكنها، بقيت صامتة وقد جمّدها هذا اللقاء غير المتوقع.

تابع يقول محاولاً أن يبدو طبيعياً: «بما أننا مسافران في الوقت نفسه، فكرت أن بإمكاننا الذهاب في سيارة واحدة إلى المطار...»

وإذ كانت تستجمع شجاعتها نطقت بأول ما تبادر إلى ذهنها: «لم يكن لدي فكرة عن أنك في لندن... ولهذا دهشت عندما قدمت نفسك».

فقال وهو يسمع صوتها الجميل المضطرب قليلاً: «شعرت بأنك عرفتني قبل أن أقدم نفسي».

ـ نعم، لقد عرفتك.

ـ لكننا لم نلتق قط من قبل.

ـ لا.

ـ ربما رأيتني في المكتب؟

ـ لا

ـ ولا في المجتمع؟

ـ مجتمعاتنا مختلفة.

ـ لقد انهزمت.

لم تفهم فسألته: «المعذرة»؟.

ـ أعني أصبح الأمر أحجية هزمتني.

غاظها أن يضحك منها فقالت بجفاء: «رأيت صورك في الصحف».

ولكن لم يكن للصور هذا التأثير. وهي لم تهيئها لمواجهة الرجل نفسه. وتنهد: «كان بإمكاننا أن نتسلى بحلّ الأحجية... فأفسدت أنت ذلك».



www.elromancia.com

ـ حسناً، هل الأحاجي هي لعبتك المفضلة؟.

حالما انطلقت هذه الكلمات من فمها حتى ندمت. عليها أن تفتنه لا أن تسخر منه. ليس بإمكانها أن تؤذي مشاعره. ربما هو، كمعظم رجال طبقته، بالغ الحساسية وليس لديه حس بالفكاهة.

لكنه ما لبث أن أثبت خطأها عندما انفجر ضاحكاً. بدت ضحكته لطيفة وليست من نوع القهقهة العالية التي تكرهها. قال وعيناه تلمعان: «عليّ أن أعترف بأني، هذه الأيام، أفضّل ألعاب الكبار».

ـ أعلم هذا.

كان لديها برهان مأساوي لحبه ألعاب الكبار. وفي الحال تملكتها رغبة في أن تثب عليه وتنشب أظافرها في وجهه الوسيم حتى ترى الدم يسيل منه.

ندم دانييل على تلك المزحة التي أدّت إلى مثل ذلك الجواب الجاف. وجلس جامداً يراقبها بحدة محضّراً نفسه للأسوأ. لكنها، خجلت من شعورها البدائي هذا بالغضب، وذكّرت نفسها بأنها إذا شاءت النجاح في ما تسعى إليه يجب أن لا يعلم بصلتها بتيم. وكبحت غضبها. وبجهد بالغ، قالت بحرج: «في كل صورة، كنت تظهر مع امرأة مختلفة تتأبط ذراعك».

ـ أحياناً تبلغ قصص الصحافة حد التشهير. وهذا النوع من تغطية الأحداث يؤسفني.

ـ لست أنت إذن من قال: «ليس هناك دعاية سيئة».

فأجاب ضاحكاً: «وما رأيك أنت»؟

أظهرت ابتسامته أسنانه البيضاء القوية الحسنة التنظيم وشكلت غمازتين على جانبي فمه ما أسبغ سحراً على وجهه الأسمر.

شعرت شارلوت بالكراهية لجاذبيته هذه، لكنها أرغمت نفسها على مبادلته الابتسام.



وجدت الأمر أسهل مما توقعت، كما وجدت أنها ممثلة أفضل مما كانت تظن. شعر دانييل بالسرور لابتسامتها، وقال: «علاقتي الحالية مع الصحافة سيئة مع الأسف. بعد أن سُئلت في مؤتمر الصحافة الأخير عن رأيي في الصحافة العصرية، أعلنت أن بعض الصحافيين لا يضيفون فقط زوائد وحواشٍ إلى الحقيقة، بل إنهم يخترعون ما لا يعلمون. ومنذ ذلك الحين وهم يشنون حرباً عليّ».

فاندفعت تسأله دون وعي: «وهل كانوا يكذبون»؟

ـ غالباً ما كانوا يفعلون ذلك. رغم أنني لا أدعي بأنني أعيش راهباً، إلا أن معظم قصصهم هي كذب.

ـ ولكن لا بد أنك كنت يوماً فتى الصحافة الذهبي؟

ـ كنت... حتى توقفت عن التعاون معهم...

وتابع يغيّر الموضوع: «أرجو أن لا يكون استعجالك بالانتقال قد سبّب لك المشاكل».

ـ لا، على الإطلاق.

ـ هل تركت خلفك شخصاً خاصاً، حبيباً مثلاً؟

ـ لا.

تملكه السرور لإثباتها صحة معلومات المخبر السري عنها، وسألها: «ماذا فعلت بالنسبة إلى شقتك؟»

ـ الشقة مستأجرة أشترك فيها مع زميلة لي منذ أيام الدراسة، وبهذا لم يكن ثمة مشكلة.

ـ أغلب الناس كانوا سيحزنون لمفارقة أسرهم قبيل العيد.

فأجابت مسيطرة على صوتها: «ليس لدي أسرة أشاركها العيد».

فانتظر. وعندما لم تأت على ذكر أخيها غير الشقيق، تساءل عن السبب. رغم أنه رئيسها، إلا أنه لم يستطع أن يصدق أنها لا تملك الإرادة أو الشجاعة لمواجهته.



www.elromancia.com

كان مستعداً لأن يخبرها عن مبلغ أسفه لما حدث، شارحاً دوره في الأمر، فقد ألقى عليها بعض الأسئلة التي تدور حول موضوع الأسرة، ومنحها كل الفرص لفتح الموضوع.

عندما لم تفعل ذلك، استنتج أنها لأمر ما قررت أن لا تقول شيئاً.

رغم أنه يفضل مواجهة الموضوع، لكن إذا كانت قد قررت ترك الماضي خلفها، ولو حالياً على الأقل، سيجاريها في ذلك.

أجابت شارلوت على أسئلته بهدوء ظاهري، ما جعلها تستعيد بعضاً من الثقة بنفسها، ومع ذلك بدت غير قادرة على القيام بدورها كما يجب. قد لا تحصل على مثل هذه الفرصة مرة أخرى.. لذا عليها أن تستفيد منها قدر إمكانها. ولكنها لم تستطع أن تجد موضوعاً مشوقاً تتحدث به، أو حديثاً يهمه.

عندما امتد الصمت بينهما، سألها راضياً نوعاً ما بما وصلت إليه الأمور بينهما حتى الآن: «هل زرت نيويورك من قبل»؟

سرّها تغيّر الموضوع وأجابت: «لا. رغم أنني دوماً تمنيت ذلك».

ـ أرجو أن تستمتعي بوقتك فيها.

ـ أنا واثقة من ذلك. كيف هو شكل الحياة في نيويورك؟

ـ إنها مزدحمة وحركة السير فيها كابوس مستمر. حارة في الصيف، خانقة الجو، مليئة بالغبار؛ وفي الشتاء باردة كئيبة مثلجة. وككل المدن الكبرى لها نصيبها من الجرائم والحرمان والشذوذ. في الماضي، كانت دائماً مليئة بالحيوية والنشاط، حافلة بالإثارة. وما زالت حتى الآن رائعة رغم التغيير الذي لحق بها. ستجدين أن معظم سكانها رائعون، دوماً كنت أرى نيويورك مكاناً رائعاً للعيش، ولا أفضّل أي مكان آخر عليها، خصوصاً وأنني شخص محظوظ بمنزل في منطقة جميلة وسيارة بسائق خاص. عندما يكون الجوّ حاراً رطباً أذهب إلى الشواطىء، وعندما يبرد الجوّ في الشتاء أذهب إلى التزلج على الثلوج.



ـ ذلك يبدو مثالياً.

ـ لأنني، كما سبق وقلت، أحد المحظوظين.

وعندما لم تقل شيئاً حوّل الحديث إلى آخر الأخبار، فأخذا يتحدثان عما يحدث في العالم، كأي غريبين مهذبين، حتى وصلا إلى المطار.

عندما توقفت بهم السيارة، هبط قلب شارلوت وهي تدرك أن فرصتها في التأثير على دانييل وولف قد تبخّرت، إذ حالما ينهي السائق إنزال أمتعتهما، ستفترق عن رفيقها دون شك. كل ما جرؤت أن تتمناه، هو أن يكون تأثيرها عليه كافياً لكي يمرّ عليها عندما تستقر في نيويورك ويسألها عن حالها. لكن، عندما ابتسمت له وشكرته لتوصيله لها ثم ودعته لكي تذهب، هز رأسه: «إبقي معي يا آنسة ميشيل».

ـ ولكن عليّ أن أحضر تذكرتي.

ـ كل تلك الإجراءات أُنجزت. إننا راحلان في الطائرة نفسها.

وقبل أن تتغلب على حيرتها، وضع يده على خصرها وجرّها معه وكأنها مساوية له وليست موظفة عنده. مع أن طول شارلوت يبلغ مئة وسبعة وستين سنتيمتراً ما يجعلها تبدو طويلة بعض الشيء بين النساء، ولكن لا بد أن طول دانييل حوالي المئة والتسعين سنتيمتراً حسب تخمينها، بل ربما أكثر من ذلك نظراً إلى عرض كتفيه.

كان يسير بسرعة وحيوية بالغتين، فوجدت نفسها تهرول تقريباً لتجاري خطواته الواسعة. وسرعان ما أدركت أن السفر مع دانييل وولف هو شيء جديد بالنسبة إليها، ذلك أن معاملة الشخصيات الهامة قد سهلت طريقهما وأضافت الكثير إلى راحتهما.

بعد انتهاء الإجراءات الرسمية، قدمت إليهما صينية قهوة ممتازة قبل أن يصعدا إلى الطائرة النفاثة ليستقلا الدرجة الأولى. تملك شارلوت الذهول. من المؤكد أن الأمر لم يكن مصادفة. نظرت إليه بحيرة، فرفع حاجبيه: «هل ثمة مشكلة؟».

ـ لا. فقط لم أظن... أعني أنني لم أتوقع أن نكون على متن الطائرة نفسها، هذا إلى الجلوس معاً.

فأجاب بلطف وهو يحدّق في وجهها: «أرجو أن لا يزعجك جلوسي بجانبك أثناء الرحلة».

ـ لا... لا، طبعاً. أنا أشعر بالدهشة فقط.

ـ حيث أننا سنسافر في الوقت نفسه، طلبت من سكرتيرتي أن تحجز لنا مقعدين متجاورين. فكرت أن لابأس في صحبة صغيرة أثناء الرحلة. وأرجو أن توافقيني الرأي.

أكدت له بابتسامة ساحرة: «نعم، طبعاً».

لقد اعتادت التوفير طوال حياتها، ولهذا كان ذهولها بالغاً وهي ترى كم أن الدرجة الأولى واسعة ومريحة.

رغم توترها، أو ربما بسببه، حالما أصبحا في الجو، وجدت نفسها تتثاءب، فسألها: «متعبة؟».

ـ لم أنم جيداً الليلة الماضية.

ـ لأنك كنت متحمسة للغاية؟

ـ ربما.

ـ لِمَ لا تأخذين غفوة إذن قبل الغداء؟

فهزّت رأسها: «أنا معتادة على النوم في السيارة والباص ولكن ليس في الطائرة».

فسألها وهو يخلع سترته: «هل ثمة سبب خاص»؟

فوجدت نفسها تخبره بالحقيقة: «لا يمكنني الاسترخاء تماماً. الطيران لا يسعدني، فقد مات أبي في حادث طائرة».

ـ آسف. متى كان ذلك؟

ـ منذ ست سنوات.

ـ آسف. وماذا عن أمك؟



ـ ماتت أمي منذ طفولتي فتزوج أبي مرة أخرى.

ـ لا بد أن موته بهذا الشكل كان صعباً عليك وعلى زوجته؟

توتر فمها الممتلىء وقالت باختصار: «زوجته لم تهتم».

ـ أوه...

انتظر وعيناه على فمها. لم يكن في نيتها أن تقول المزيد، إلا أنها وجدت نفسها تقول: «ما إن مضى شهر على موت أبي حتى تزوجت مدير شركة نفط وذهبت لتعيش في الشرق الأوسط».

لا بد أن تيم كان تلميذاً صغيراً حينذاك... انتظر منها أن تتابع. لكنها، مرة أخرى، لم تقل شيئاً عن أخيها غير الشقيق. وبعد لحظة، قال فجأة: «أظنك كنت ما تزالين في الكلية».

تساءلت بضيق عما جعلها تحدثه بكل هذا، وأجابته باختصار: «نعم».

لاحظ أنها لم تشأ متابعة الحديث، ثم رآها تتثاءب مرة أخرى فقال: «أظنه وقت القيلولة».

سوّى من وضع مقعديهما ما جعلهما يضطجعان براحة تامة: «ضعي رأسك على كتفي».

ووضع رأسها بين صدره وكتفه قائلاً وكأنه يتحدث إلى طفلة: «هكذا ستشعرين بالراحة أكثر».

وعلى الفور، بدا وكأن كل شيء قد توقف... خفقان قلبها، تنفسها، جريان الدم في عروقها، وتجمدت مكانها. ثم، إذا بها تشعر بدافع قوي، يدفعها إلى أن تسلخ جسمها عنه وتصرخ به: أبعد يدك عني أيها الحقير! ولكن، آخر شيء عليها أن تقوم به هو أن تظهر مشاعرها الحقيقية. عليها أن تبذل جهدها في القيام بدورها. رغم أنها، حالياً، فقدت كل قدرة على التمثيل.

تذكرت نصيحة كارلا فأدركت أن عليها أن تندس فيه. فتظهر



www.elromancia.com

عاجزة متسعة العينين، لكنها، لأمر ما، لم تستطع. كل ما يمكنها عمله هو البقاء جامدة، وكل عضلة في جسدها مشدودة.

قال دانييل يحثها بلطف: «استرخي».

لإحساسها البالغ برجولته القهارة، أدركت أن من المستحيل أن تسترخي. ولكن بعد برهة، تلاشى توترها ونامت، لما كانت تشعر به من الحرارة والتعب.

عندما استيقظت أخيراً بقيت لثانية أو اثنتين حائرة لا تعرف أين هي، ومن ذا الذي يحتضنها بهذا الشكل. وإذا بصوت رجل رقيق يسألها: «هل تشعرين بتحسن يا آنسة ميشيل»؟

ـ نعم. شكراً.

نظر إلى العينين الخضراوين الداكنتين الناعستين وقال: «أم.. هل بإمكاني أن أدعوك باسمك، شارلوت»؟

فقالت بلهجة آلية وهي تلملم نفسها محاولة الجلوس: «نعم، افعل ذلك»

فقال مداعباً: «أشعر، بشكل ما، أن تأمّلي لك أثناء نومك قد جعل علاقتنا... شخصية إلى حدٍ ما».

أربكتها فكرة أن يتأملها دانييل وولف وهي نائمة، فابتعدت عنه بسرعة.

حوّل ذراعه عنها ثم سوّى المقعدين وتابع يقول: «لا بد أنك كنت مرهقة تماماً، فقد نمت ساعتين تقريباً».

فنظرت شارلوت إلى ساعتها: «أنا... أنا آسفة. لا أصلح تماماً لأكون مرافقة جيدة».

لكنه، في الحقيقة، استمتع بمراقبتها نائمة وهو يحتضنها.

عندما تزوّجت أخته الصغرى غلينداً وأصبحت أماً، ذكرت مرة كم من الأوقات يمضيانها، هي وزوجها، فقط متأملين القادم الجديد الغالي.



والآن فقط أدرك دانييل ما كانت تعنيه أخته، وهو يجد صعوبة في سلخ عينيه عن رفيقته، متأملاً ذلك الشعر الرائع، والحاجبين الحريريين والأهداب القاتمة الكثيفة المقوسة إلى الأعلى بإغراء، ما جعله يشعر باضطراب عنيف. كان فمها مسترخياً على الجانبين، وكأنها نسيت كيف تكون سعيدة، ما جعله يشعر بنوع غريب من الحنان. وعندما رأى نظرة قلق حقيقي في عينيها، هز رأسه: «لا شيء يدعوك إلى الأسف، أؤكد لك».

تنهدت في سرها وهي تزيح عن وجهها خصلة نافرة من شعرها الأحمر الذهبي. غاظها أن تكون مرافقة مملة، إذ بدلاً من أن تمضي الوقت في تسليته أمضته في النوم. ذلك أنهما عندما يصلان إلى نيويورك ويذهب كل منهما في طريقه، يكون الوقت قد فات.

ـ هل أنت مستعدة للغداء؟

أومأت إيجاباً وهي تشعر فجأة بالجوع.

ـ ماذا تحبين؟

وناولها قائمة الطعام. لم تكن تشبه أنواع الطعام التي تتناولها عادة في الطائرة، وعندما رأى ترددها سألها: «هل هناك مشكلة»؟

فقالت تعترف: «أنواع الطعام كثيرة. لا أعرف ما اختاره منها، فقد اعتدت على السفر في درجة رخيصة».

فقال ضاحكاً: «آه، نعم. فأنا أتذكرها جيداً».

لم تستطع إخفاء دهشتها: «أنت أيضاً»؟

فقال ساخراً من نفسه: «بعد تخرجي من الجامعة، أمضيت سنتين أطوف حول العالم، وكانت النقود حينذاك قليلة».

أثناء تناولهما الطعام متمهلين، وبعده القهوة، أخذ يحدثها عن الأسفار والأماكن العديدة التي زارها. وأخيراً سألها: «هل سافرت كثيراً»؟

لقد اعتادت أن يكلمها رفاقها في الفريق باستعلاء إذ كانوا من الذين يعتقدون أن الذكاء والجمال لا يجتمعان، ووجدت في معاملته لها بالمثل مبعثاً للحماسة والنشاط.

عندما وصلا إلى نيويورك وحطت بهما الطائرة في المطار، كانت قد نسيت تقريباً السبب الذي جعلها تحضر إلى هناك...

ومرة أخرى، استلم هو مسؤولية كل شيء. وسرعان ما انتهت الإجراءات وقام السائق الأنيق بنقل أمتعتهما إلى سيارة الليموزين. وأدهشها أن ترى، بدلاً من الجو الرطب الكئيب الذي تركته في لندن، غطاءً من الثلج. امتدت فوق رأسيهما سماء زرقاء صاحية بينما الشمس تتألق ببرودة. وعندما سارت بهما السيارة في منطقة «الملكات» سألته: «كم يبعد المكان»؟

ـ حوالى خمسة عشر ميلاً إلى منتصف «مانهاتن». وهذا يعني حوالى الساعة حسب حركة السير.

لم تستطع أن تفكر في شيء تقوله، ومرة أخرى، ازداد إحساسها بتأثير وجوده بجانبها فأخذت تنظر من النافذة بحزم. أما دانييل فقد تمكن أخيراً من السيطرة على موجة الإثارة التي تملكته. كان قانعاً بمجرد جلوسها بجانبه في الطائرة، فالدافع الذي حثه على أخذها بين ذراعيه بدا قوياً إلى حدٍ جعله يقذف بالحذر من النافذة.

ثم شعر بتراجعها المؤقت، وتوترها، وشجع نفسه على تلقي رفضها الواضح. وعندما لم يحدث ذلك، تملكه السرور والحيرة معاً. إما أنها قررت النسيان والصفح، وإما أنها تقرر أمراً. ومهما يكن هذا الأمر، بدا له أن الحياة ستصبح أقل مللاً.

* * *



ـ ليس بالكثرة التي أتمناها.

ـ رغم كرهك للسفر بالطائرة؟

ـ ما كنت لأدع ذلك يمنعني. كنت قد قررت أن أطوف حول العالم بعد أن أتخرج من الكلية، ولكن...

وسكتت فجأة.

ـ ولكن ماذا؟

ـ أصبح لديّ التزامات.

ما زالت تشعر بالوحشة وحسرة الفراق والحزن كلما فكرت في تيم. مسكين تيم! كل ما حصل له كان ذنب هذا الرجل.

وشملتها موجة جديدة من الغضب والكراهية. رأى دانييل ملامحها فانتظر. وعندما لم تقل شيئاً سألها بحذر: «هل هناك مكان تحبين زيارته بشكل خاص؟».

تنفست بعمق وأجابت: «أمكنة كثيرة جداً. ولكن حتى هذه السنة كانت كارلا، وهي شريكتي في الشقة، تصلي كي يتحسن وضعي المالي».

ـ يبدو أننا لا ندفع لك راتباً كافياً.

ـ كما قلت لك، كانت لدي التزامات.

يبدو أن المخبر السري كان صادقاً عندما قال له إن شارلوت كانت تنفق على أخيها غير الشقيق، ومرة أخرى انتظر دانييل منها أن تتابع حديثها، لكن وجهها اكتسى بذلك المظهر الجامد المنضبط الذي أصبح يعرفه، فتنهد في داخله وقرر أن يتراجع ويغير الموضوع. وأخذ يتحدث عن الاقتصاد العالمي وكيف يؤثر على أسواق العمل الجارية. ثم انتقل بسهولة من مواضيع المال والتجارة العالمية إل التدفئة الشاملة وصيانة الموارد الطبيعية، مختبراً معلوماتها طوال الوقت، مراقباً ردة فعلها ورأيها وأدهشها أن ترى أن رأيها موافق لرأيه غالباً. أما عندما يخوضان في موضوع هي أكثر معرفة به منه، فكان يحيي معرفتها المتفوقة بسخاء.

## ٣ ـ معاً في بيت الزنابق

عندما اقتربوا من «مانهاتان»، حبست شارلوت أنفاسها لمنظر المدينة المتألقة باللون الأبيض. وهتفت: «أليست رائعة؟».

ـ أظن ذلك.

نسيت مؤقتاً سبب وجودها هناك، فالتفتت إليه بحماسة: «ظننتني أعرف ما أتوقع، لكنني لم أتوقع قط شيئاً كهذا».

فقال مسروراً ومرتاحاً لإعجابها بمدينته: «لنيويورك أوجه كثيرة، مما يدهش حتى أبناءها. وهذا أحد الأسباب التي تجعلني أحب الحياة فيها».

قوله هذا ذكرها بشيء ما زالت غير واثقة منه، فسألته: «ربما يمكنك أن تخبرني أين سأسكن. لقد ذكر لي السيد تلفورد أن الشركة ستقدم لي شقة للسكن، ولكن ليس لدي فكرة عن مكانها».

ـ تقع الشقة في مقرنا في مبنى «لويد وولف» وهي في «سنترال بارك إيست»

ـ وهل تعيش أنت في «لاوار مانهاتان؟».

ـ كلا.

ـ آه...

لو كان يعيش في المبنى نفسه لناسب ذلك هدفها تماماً.

ـ بدا عليك خيبة الأمل.



شعرت بعدم الارتياح وهي تراه يقرأ أفكارها، وسارعت تقول منكرة: «لا أبداً. فقط، لأمر ما، ظننتك تسكن في «الروف» في الشارع الخامس».

ـ فعلت ذلك لفترة، لكن ذلك لم يناسبني، فانتقلت. أحقاً لم يخب أملك؟

ـ كلا طبعاً، ولماذا يخيب أملي؟

وإذ رأته غير مقتنع، أضافت: «أنا أشعر بالدهشة فقط. فأنا لا أتصور شخصاً لا يحب السكن في الشارع الخامس».

ـ وأنا كذلك إلى حد ما، لكنني وجدت أن الحياة في «الروف» أعلى المبنى شبيهة بالحياة في فندق. وأنا الآن أعيش في منزل وهذا يختلف وهو يقع في منطقة يسمونها «القرى».

ـ القرى؟

ـ إنها مجموعة من المنازل المتجاورة غرب «برودواي».

ـ أليس ذلك بعيداً عن مقر عملك؟

ـ ليس بعيداً جداً.

ـ هل تذهب إلى العمل يومياً؟

ـ نعم، إلا إذا كنت في رحلة عمل.

ـ ألا تزعجك زحمة السير؟

ـ هذا ممكن طبعاً. لكن عندما يكون لديك سائق خاص فالأمر يبدو أسهل بكثير.

ـ هل سيكون عملي هناك؟

ـ نعم.

ـ حسناً، إذا كنت أعيش في المنطقة، لن تكون رحلتي إلى العمل طويلة.

قالت هذا باسمة، فقال: «لسوء الحظ، لأن قدومك إلى هنا جاء

بسرعة مفاجئة، ما زالت الشقة مشغولة».

ـ آه...

ـ من المنتظر أن تخلى في اليومين أو الثلاثة أيام القادمة. عند ذلك ستتمكنين من الانتقال إليها والاستقرار قبل العيد. وفي هذا الوقت، رأيت أن بإمكانك الإقامة في بيتي.

ـ الإقامة في بيتك؟

كانت تعلم أنه ينبغي عليها أن تبتهج لذلك، لكنها شعرت على الفور بالذعر وأظهرت ذلك، فتابع يقول بنعومة: «نيويورك، كباقي المدن الكبرى، قد يشعر فيها الإنسان بالوحشة وتوتر الأعصاب، خصوصاً إذا كنت وحدك ولا تعرفين سير العمل. وهكذا، بدلاً من أن أحجز لك في فندق، فكرت أن بإمكانك الإقامة في الجناح الصغير المستقل الذي اعتادت مديرة منزلي أن تقيم فيه، إلا إذا كنت لا تريدين أن تقيمي تحت سقف بيتي لفترة قصيرة».

تمالكت نفسها قليلاً وقد اطمأنت إلى وصفه للمكان بأنه جناح صغير مستقل، فقالت متلعثمة: «حـ... حسناً، كلا...»

سرّه ألاّ تعارض وقال ساخراً: «ظننت أن الصحافة نجحت في إقناعك أن لا امرأة تبقى في مأمن إذا كنت أنا موجوداً».

لم تكن بحاجة إلى إقناع، كما أخذت تفكر بمرارة، فقد سبق وعرفت أنه زير نساء لا يرحم. فقالت بهدوء متظاهرة بالهزل: «أنا لا أصدق كل ما أقرأ».

ـ في هذه الحالة سنعتبر هذا انتهاء المشكلة.

ـ شكراً.

ـ بكل سرور، وأنا أطمئنك.

نظر إلى عينيها مبتسماً ما ينبىء أن اهتمامه بها هو شخصي وليس بصفتها موظفة عنده. بادلته ابتسامته بانتصار شاعرة أن الأمور تسير



حسبما تريد. الحمدلله أن شقة الشركة ليست خالية، وهكذا بإمكانها أن تمضي عدة أيام معه تحاول أثناءها أن تزيد من اهتمامه بها.

كانت عيناه الرماديتان ما تزالان تنظران في عينيها، وخافت أن يقرأ أفكارها فقالت بسرعة: «ألن تخبرني عن «القرى»؟»

ـ إنها أمكنة رائعة للعيش، مع مطاعم درجة أولى ومسارح جيدة ومظاهر مختلفة لحياة الليل. أفضل القرى فيها تدعى «قرية غرينوشي» وتتوسطها «واشنطن سكوير»...

أفاض بالحديث عن «القرى» وتاريخها حتى وصلا إلى منطقة بدت لها كمدينة صغيرة ما جعلها تشعر بالارتياح.

بدا الشارع العام الرئيسي بمتاجره النسائية الصغيرة ومقاهيه، ومكتباته ومعارضه، مزدحماً بالمتسوّقين لعيد الميلاد.

كانت الثلوج مكومة على جوانب الطرقات كتلال بيضاء صغيرة. ورغم أشعة الشمس، بدت المياه المتجمدة وهي تتدلى من عتبات نوافذ الطوابق العليا التي تتألق بالزينة. وفي إحدى الواجهات كان سانتا كلوز يركب عربة يجرها حيوان قطبي من فصيلة الأيائل. بينما في واجهة أخرى بدت فرقة من أقزام الغابة وهي تعقد شريطة ملونة حول عنق تمثال لرجل الثلج.

تركا شارع التسوّق الرئيسي ومعظم زحمة السير ليصلا إلى منطقة سكنية أنيقة، حيث انعطفا إلى شارع «كارفر» الذي تحف به أشجار عارية تكسوها الثلوج. وفي آخره، انتصب منزل صغير مؤلف من ثلاثة طوابق مواجهة للشارع. كان المنزل مبنياً من الآجر باللونين الوردي والأزرق، أما حديقته فمحاطة بسور عالٍ من الآجرّ. في وسط الحديقة قامت خمس درجات تؤدي إلى الباب الأمامي الذي علق فوقه فانوس من الحديد المزخرف، وإلى جانبي الباب بدت نافذتان مستطيلتان ذات ألواح زجاجية صغيرة مربعة غير مستوية لتلتقط الأضواء. وفوق المطرقة

النحاسية اللامعة، التي تتخذ شكل الزنبقة، عُلّق إكليل زنابق مربوط بشريط قرمزي اللون.

كل ذلك كان غير متوقع، بحيث أرادت شارلوت أن تقرص نفسها لتتأكد أنها لا تحلم. قال دانييل: «هنا أسكن. وكما ترين، إنه صغير حقاً».

في مدينة كنيويورك، قد يبدو هذا المنزل الصغير الفاتن غير ملائم. ولكن، لأمر ما، جعله الصفاء الذي يحيط به ملائماً تماماً، وكأنه تمثال الحرية.

أوقف السائق السيارة وقفز ليفتح بابها. وقفز دانييل أولاً لتغوص قدمه في عدة إنشات من الثلج وهو يقول: «شكراً يا بيركنز».

واستدار ليمسك بيد شارلوت قائلاً: «انتبهي من الانزلاق».

فسارت بحذر. وكانت الشمس قد اختفت تاركة السماء أشبه بلؤلؤة ثلجية، والهواء قارساً للغاية. تراكم الثلوج على الطريق كان عذراً جيداً له ليضع ذراعه حول خصرها فيما هما يصعدان الدرجات. وللحظة واحدة فقط، تملكها وهم خطير بأنه يهتم بها عاطفياً.

فتح الباب ووقف جانباً ليدعها تمر وهو يقول: «مرحباً بك في «بيت الزنابق»».

ـ شكراً.

ومسحت قدميها عند العتبة، ثم دخلت. تبعها دانييل شاعراً ببهجة عارمة. المرأة التي رغب بها طويلاً أصبحت في بيته أخيراً، لكن صوتاً في داخله أنذره بأن لا يتعجل الأمور. في الماضي، لم يكن يهتم إذا رفضته امرأة، فدوماً كانت هناك امرأة أخرى... لكن شارلوت ميشيل بدت مختلفة، وهذه المرة يهمه الأمر جداً.

عندما أغلق دانييل الباب خلفهما، نظرت شارلوت في أنحاء غرفة الجلوس بسرور حقيقي. بدت الغرفة قديمة الطراز وساحرة تماماً. كانت



تحتوي على الحد الأدنى من الأثاث فوق أرض خشبية مصقولة من خشب السنديان القاتم. إلى اليمين ظهر سلم جميل يصعد ملتفاً إلى الطابق الأعلى. وثمة نار تتألق في مدفأة من الفخار زرقاء قرمزية مزينة بأكاليل من الزنابق البيضاء، وقد وزعت أمامها جلود أغنام سميكة بيضاء، ووضعت بجانبها سلة فيها قطع حطب وطاولة للقهوة وكرسي وأريكة مغطاة بغطاء مخملي ذي لون ذهبي هادىء وقد تكوّمت عليها بضع وسائد.

وزعت في أرض الغرفة عدة قطع من السجاد، أما الستائر فقد أزيحت إلى أحد الجوانب. وبين النوافذ المستطيلة كانت شجرة عيد الميلاد تقف رائعة مزينة وقد علت قمتها نجمة كبيرة.

بدت السقوف منخفضة، وكذلك المداخل، وبدا لعيني شارلوت المسحورتين كأن كل شيء كان منخفضاً. وشعرت كأنها في بيت دمية.

نظرت إلى الرجل الواقف بجانبها... رجل في مثل طوله وقوة عضلاته يبدو بلا شك في غير مكانه الملائم في هذا البيت الصغير الجميل. لكنه على العكس من ذلك، بدا سعيداً هنا، منتمياً إلى هذا المكان تماماً.

أوشكت شارلوت أن تعلّق على هذا الأمر عندما انفتح باب وبرزت منه امرأة في منتصف العمر بخدين كتفاحتين وشعر خالطه البياض، وكانت تحمل بيدها مقصاً وخيطاً من القنّب وقد ارتدت بنطلوناً كحلياً وكنزة قرمزية وجزمة وطاقية كالتي يرتديها الرجال.

رأت شارلوت عين دانييل تغمز المرأة فأدركت أنهما متفاهمان ولأمر ما، هزّتها هذه اللحظة السريعة الحميمة بشكل غريب. ابتسمت له المرأة وقد أشرق وجهها السمين لرؤيته: «آسفة لأنني لم أكن هنا لأدخلكما، فقد كنت في الحديقة أربط النباتات التي أحناها الثلج. لم أعرف بعودتك ألا بعد أن رأيت بيركنز يدخل السيارة إلى المرآب. كيف كانت الرحلة؟».

ـ ممتازة. شكراً. هذه مديرة منزلي السيدة مورغان.

ابتسمت شارلوت وقالت: «مرحبا».

ـ وهذه الآنسة ميشيل يا كايت.

ـ مسرورة بمعرفتك يا آنسة ميشيل. كل شيء جاهز في غرفتك إذا شئت أن آخذك إليها.

فقال: «أنا سأري الآنسة ميشيل المكان إذا شئت أن تخرجي».

ـ نعم، فأنا لم أنته من التسوق للعيد بعد، وكل الأمكنة مزدحمة. أتريد شيئاً قبل أن أذهب؟

ـ صينية شاي من فضلك.

ـ الإبريق على النار، وسأحضره عند خروجي.

وابتسمت لهما معاً ثم خرجت.

قال: «سأطوف بك في القسم الأرضي قبل أن نتناول الشاي».

وفتح باباً إلى اليسار: «هذه غرفة الطعام رغم أنها لا تكاد تُستعمل هذه الأيام. فأنا أفضل أن آكل في المطبخ».

في غرفة الطعام رأت شارلوت مدفأة شبيهة بتلك الموجودة في غرفة الجلوس، وقد علقت بالقرب منها ساعة. أما الأثاث فهو من طراز القرن الماضي.

ـ وبجانبها غرفة المكتبة.

وكانت هذه غرفة جميلة جدرانها مغطاة بالكتب، ذات أثاث مريح ومدفأة مليئة بالحطب. الشيء الوحيد الذي يشير إلى القرن الحادي والعشرين فيها الكمبيوتر وأجهزته، التي وضعت فوق منضدة مغطاة بالجلد.

تابع دانيل يقول ببشاشة: «هذا كل شيء بالإضافة إلى المطبخ، إنه بيت صغير كما قلت لك».

ثم سار بها إلى مؤخرة المنزل وأشار إلى سلم خشبي يصعد من ردهة



صغيرة: «وهذا كان سلم الخدم».

ـ لا يبدو أن المكان كان يتسع للخدم.

ـ ذات يوم، كان الطابق الأعلى للخدم. ومنذ انتقلت إليه، أصبح فارغاً فاستعملت المكان كمخزن.

ـ ولكن ما زال لديك خدم.

ـ اثنان فقط.

قطبت حاجبيها. رغم أن هذا البيت بشكله المنفرد هذا، لا بد كلف ثروة صغيرة، إلا أن دانييل وولف يحيا، كما يبدو، حياة بسيطة. لا شيء مما قرأت في الصحف عن طراز حياته يتطابق ولو قليلاً مع ما أخذت الآن تعلمه عنه. تابع وهو يرافقها إلى المطبخ: «عدا عن كايت، هناك السائق فقط ولديه شقة فوق المرآب الذي كان في الماضي إصطبلاً».

بدا المطبخ أنيقاً مريحاً، مع مائدة وكراسي من خشب السنديان وموقد أسود كانت النيران تشتعل فيه. ولأول نظرة بدا لشارلوت أنه يعود بطرازه إلى مئة عام. لكنها سرعان ما أدركت أنه يحتوي على كل التجهيزات الحديثة.

أمام النار كان هناك كرسيان مريحان ومنضدة عليها صينية الشاي في انتظارهما. لقد وفت السيدة مورغان بوعدها.

وسألها: «هل أنت جاهزة للشاي»؟

وعندما أجابته موافقة تملكتها فجأة رجفة وهي تدرك أنهما لأول مرة، وحدهما معاً. وشعرت برغبة قاهرة للهرب.

ـ أتريدين سكراً وحليباً؟

ـ حليباً فقط من فضلك.

وعندما راحت تتمشى في أنحاء المطبخ بقلق سألها: «لماذا لا تجلسين؟».

فجلست وجلس بجانبها وأخذ يسكب الشاي. وجدت نفسها

تراقب يديه الحستي الشكل وهما تقومان بالمهمة التي كانت تعتبرها دوماً أنثوية.

بدتا قويتين طويلتي الأصابع مقصوصتي الأظافر. يدان ماهرتان دون شك، وهما تعرفان كيف تسعدان امرأة.

ـ هاك فنجانك.

تناولته شاكرة ورفعت إليه بصرها دون وعي فالتقت عيناها بعينيه... لمعت عيناه الرماديتان وبدت على شفتيه ابتسامة خفيفة وكأنه التقط أفكارها.

شعرت بوجهها يشتعل. أخذت تنظر إلى كل شيء ما عداه. وتساءلت بذعر كيف تسمح لنفسها بأن تفكر بذلك الشكل، بهذا الرجل الذي تكرهه!.

حاولت أن تستعيد اتزانها فأخذت تنظر حولها؛ على جانبي الباب الخلفي المتين بدت نافذتان مستطيلتان غطت الثلوج زجاجهما، وهما تطلان على حديقة تحيط بها أشجار سامقة. على أرض الفناء المغطاة بالثلوج رأت آثار أقدام حيوان صغير وسمعت تغريد طير من مكان قريب.

أخذ ضوء النهار يتلاشى بسرعة، وأحال الغسق لون الزجاج إلى ما يشبه الضباب الرمادي.

وضعت كوبها من يدها وقالت: «قلت إن لديك بيتاً مختلفاً عن سائر البيوت، لكنني لم أتصوره بهذا الشكل أبداً».

ـ وهل أعجبك؟

ـ آه، نعم. إنه جميل! يشعرني وكأنني في بيت للدمى.

فابتسم: «أعرف ما تعنينه بالضبط».

ـ لا بد أنه فريد من نوعه.

كان وهج النار يتألق في عينيه ما أضفى على وجهه الوسيم لوناً



أحمر. ثم قال بسرور هادىء: «أعتقد أنه كذلك».

ـ هل تعرف تاريخه؟

ـ آه، نعم. لقد بناه منذ أكثر من مئة وخمسين سنة مهندس مشهور اسمه جون لويد لحبيبته، ليلي بوزتي. كانت ممثلة جميلة ذات شعر أحمر رائع. يبدو أن حبهما كان محموماً للغاية، وأراد أن يتزوجها لكنه كان متزوجاً من امرأة تدعى فلورنس، وقد تزوجا عندما كانا صغيرين. لم تكن فلورنس صحيحة الجسم تماماً. وبعد مولد ابنتهما إليزابيث أصبحت شبه عاجزة. وعندما أراد جون لويد أن يلتحق بأفراد أسرته الذين كانوا قد هاجروا إلى أميركا منذ أكثر من جيل، توسل إلى ليلي أن تلحق به، فقالت إنها ستفعل إذا هو وافق على أن يترك زوجته وابنته في لندن. لم يشأ أن يهجر أسرته لكنه أيضاً لم يستطع أن يحتمل فراق ليلي، وهكذا وعدها بأنه، إذا جاءت إليه هناك، سيبني لها منزلاً خاصاً، وهذا ما فعله. كانت ليلي تعشق أزهار الزنبق، وهكذا زخرف المنزل بصور هذه الأزهار وأطلق عليه اسمها.

تنهدت شارلوت: «يا لها من حكاية شاعرية!... وهل كانت سعيدة هنا؟».

ـ ظلّت كذلك لسنة أو اثنتين، ثم تعبت من الاجتماعات الخاطفة والليالي الموحشة، تعبت من مشاركة امرأة أخرى لها في حبيبها، وحقوق تلك المرأة التي تفوق حقوقها هي في وقته واهتمامه.

وعندما رفض مرة أخرى أن يترك زوجته، هجرته ليلي. ولعلمه بمبلغ قوة حبهما، توقع أن يكون هذا مجرد دلال، وأنها ستعود. لكنها لم تعد. فاستأجر مخبراً سرياً وبذل كل جهوده في اقتفاء أثرها، في نيويورك ولندن، ولكن دون جدوى. بدا وكأنها اختفت عن وجه الأرض. وبعد ذلك بوقت قصير، عندما ماتت زوجته، ترك إليزابيث الصغيرة مع مربيتها الشغوف بها، وانتقل للعيش في هذا البيت، آملاً في أن تعود

ليلي.

ـ وهل عادت؟

ـ لا، مع الأسف. لقد عاش جون لويد هنا وحده مدة أربعين عاماً تقريباً، حتى مات. كان الزمن يتغيّر، ولكي يمنع بيع «بيتها» لمن قد يغيّر هندسته أو يهدمه، أوصى به لجمعية «صونوا تراثنا» التي كان هو من مؤسسيها. ومنذ عامين اشتريته منهم.

ـ يدهشني أن يوافقوا على بيعه.

فرفع حاجبيه هازلاً: «أتعنين أنك مندهشة لثقتهم بي؟»

تلاقت عيناها بعينيه وازداد إحساسها بجاذبيته فانحبست أنفاسها فجأة. غاظها تأثيره عليها، فقالت: «حسناً، أنت معروف بأنك رجل أعمال عنيد».

ـ لا أظن أن هذا وحده ما جعلهم يثقون بي...

فقالت هازئة وهي تتذكر قصص الصحف عن حبه للخير: «هل سبب ذلك أنك كنت متبرعاً سخياً؟».

ـ يمكنك أن تقولي هذا. لكن هناك سبباً أهم من هذا بكثير.

ـ أحقاً؟

ـ بعد أن اشتروا بعض الأملاك ذات القيمة الأثرية تضايقت المؤسسة مالياً وصعب عليها الاستمرار...

ـ وهكذا هبطت أنت عليها كفارس على فرس أبيض لإنقاذها...

ـ عرضت عليهم أن أشتري منزل «الزنابق». وبعد أن دفعت للمؤسسة الثمن الذي طلبوه ووافقت على شروط معينة، تمّ الشراء.

ـ المال يتكلم، كما اعتاد أبي أن يقول.

ـ لا يمكنني نكران ذلك رغم أنه لا ينجح دوماً.

ـ إنه يكفي في العادة.

ـ في هذه الحالة بالذات ما كان المال سيكفي.



فسألته بعذوبة مصطنعة: «هل كان عليك أن تستعمل سحرك؟».

لمعت عيناه وقال: «لحسن الحظ ما كان عليّ أن أعتمد على ذلك الأمر التافه. حقيقة أن جدّ جدّ جدّي هو الذي بنى منزل «الزنابق» جعل المؤسسة تقبل بيعه إليّ».

ـ وهل كان جون لويد جدّ جدّ جدّك؟

ـ نعم، فقد تزوجت ابنته قريبها الأميركي جوشا وولف فأصبحت إليزابيث لويد وولف.

طبعاً، تذكرت شارلوت قوله إن مقره الرئيسي هو في مبنى لويد وولف.

عاد يقول: «ألا زلت تظنين أنهم أخطأوا في بيعي البيت؟».

ـ لا. طبعاً لا.

وعضت شفتيها غاضبة من نفسها. رغم أنه، منذ البداية، لم يعاملها كموظفة عنده، ربما عليها أن تعامله كرئيس ولو للحظة. فبماذا كانت تفكر وهي تسخر من الرجل الذي هو رئيسها ومضيفها في وقت واحد؟ الرجل الذي ترجو أن تفتنه؟

كان عليها أن تصغي وتبتسم بأدب بدلاً من أن تظهر عداءها. ولم تستطع إلا أن تقول: «آسفة، ما كان عليّ قول ما قلته».

ـ لا تقلقي لهذا، أرجوك.

ثم قال مغيراً الموضوع: «لا بد أنك متعبة بسبب اختلاف التوقيت».

شاكرة له عدم استيائه منها، وحاجتها إلى الانفراد بنفسها لاستجماع قواها، أجابت: «أنا فعلاً متعبة».

ـ المشكلة هي، أنك إذا ذهبت إلى فراشك أبكر مما ينبغي من الصعب أن تنامي كالعادة. أقترح عليك، بعد أن تخرجي أمتعتك وترتيبها، أن ترفعي قدميك إلى الأعلى لمدة ساعة، ثم آخذك بعد ذلك للعشاء، وأريك



www.elromancia.com

الشارع الخامس في الليل.

ـ شكراً، هذا رائع. ولكن هل أنت واثق أن لديك الوقت الكافي؟

ـ واثق تماماً.

ـ وأنه.. لن تكون هناك مشكلة...؟ أعني...

وترددت ثم سكتت.

ـ أتعنين أن لدي صديقة دائمة قد تعترض؟

ـ نعم.

ـ الجواب إذن هو «لا».

الارتياح الذي شعرت به كان أكثر مما يقتضيه الأمر. لكنها أقنعت نفسها بأن هذا سيزيح عقبة من طريقها.

ـ والآن، هل أريك الطابق الأعلى؟.

وصعد بها السلم إلى الأعلى، وحين وصلا إلى الفسحة في أعلى السلم قال: «هنا، في الناحية الأمامية من البيت، تقع غرفة النوم الرئيسية...»

وفتح الباب على غرفة معتدلة المساحة بسيطة الأثاث. إنها «غرفته»... رغم أن كل ما فيها بدا منظماً، لكن بدا واضحاً أيضاً أنها غرفة رجل.

وفتح دانييل باباً آخر: «وهذا جناحك. إنه يطل على الحديقة».

كان جناحها مؤلفاً من غرفة جلوس صغيرة وغرفة نوم وحمام، رغم أنه يبدو قطعة تراثية ساحرة، إلا أنه يباهي أي حمام عصري. أما الغرفتان الرئيسيتان فأثاثهما تراثي بالغ الرقة والعذوبة. أرضهما مكسوة بخشب السنديان القاتم، وتتوسط كل منهما مدفأة صغيرة. كانت الغرفتان مريحتين دافئتين ما يظهر أن هناك تدفئة مركزية. على السرير العالي المزدوج وضع لحاف قد حال لونه لكثرة الغسيل، بينما ألوان ورق الجدران والسجاد قد تغيّرت ألوانها مع مرور الزمن.



رغم أنها كادت تنسى مشاعر السعادة، أدركت شارلوت بالغريزة أن بإمكانها أن تكون سعيدة في بيت كهذا، لو لم يكن هو صاحبه! وإذ رأى وجهها يظلم سألها: «أرجو أن يكون قد أعجبك».

فأجابت ببساطة: «نعم، شكراً».

فقال راضياً عن جوابها: «سأتركك إذن كي تستقري، وسأنقر بابك بعد ساعتين. موافقة؟».

ـ نعم، أرجوك.

خرج دانييل بهدوء مغلقاً الباب خلفه. أما هي فكانت أمتعتها تنتظرها، فتحتها بسرعة وأخرجت ثوباً أزرق اللون مع سترة مناسبة. كانت قد وضعت في قعر حقيبتها رداءً مسائياً مع قلنسوة أرغمتها كارلا على شرائه، ولم تتوقع أبداً أن ترتديه، نفضته ووضعته على كرسي.

كبحت تثاؤبها وخلعت بذلتها، ثم ضبطت المنبه بحيث يكون لديها وقت كافٍ للاغتسال وارتداء ملابسها، ثم صعدت إلى السرير وأطفأت النور.

رغم تعبها وانشغال تفكيرها، لم تتوقع أن تنام. وصدمت عندما انطلق جرس المنبه وهي لم تكد تغمض عينيها تقريباً. لكن عندما نظرت إلى الساعة رأت أنها نامت أكثر من ساعة ونصف. كل ما كانت تريده حالياً هو أن تتابع نومها، لكن سرعان ما سيأتي دانييل ويقرع بابها.

نزلت من السرير ودخلت الحمام، وعندما غسلت وجهها بالماء البارد شعرت بتحسن. وفي أقل من ربع ساعة اغتسلت وارتدت ثيابها وأصبحت جاهزة للخروج. وكانت تضع في أذنيها قرطين من اللؤلؤ عندما طرق دانييل الباب.

كان يلبس بذلة المساء فبدا بالغ الأناقة والرجولة إلى حد سمّرها مكانها وجعل قلبها يخفق. شملها بنظراته راضياً: «تبدين رائعة. هذا اللون يلائمك حقاً».

عندما هبطا السلم كان جسدها ما زال يرتعش من نظرته الفاحصة تلك. وقالت بصوت أجش: «أرجو أن يكون الثوب ملائماً. إنه كل ما لدي هنا».

فقال بابتسامة بعثت الحياة في عينيه: «إنه رائع. سيحسدني كل رجل يراك».

توقف في غرفة الجلوس ليضع الرداء حول كتفيها ثم يتناول معطفه قبل أن يخرجا.

كانت الليموزين في انتظارهما والسائق واقفاً يمسك بالباب وينتظرهما. وكان الجوّ بارداً للغاية.

حالما استقرا في دفء السيارة الفارهة، أزاح دانييل الزجاج الفاصل بينهما وبين السائق وقال له: «سنتعشى في «لاهاڤانا» لكننا لسنا على عجلة، أحب أن ترى الآنسة ميشيل الشارع الخامس، فإذا أمكنك الذهاب إلى هناك...»

- بكل تأكيد، يا سيدي.

التفت دانييل إلى شارلوت: «أتفضلين النزول أمام المطعم، أم السير مسافة عشر دقائق إليه؟».

- بل أفضّل السير.

فالتفت إلى السائق: «يمكنك أن تنزلنا إذن قبل أن ندخل إليه».

قال دانييل وهو ينظر إلى وجهها مقاوماً رغبة تدفعه إلى معانقتها: «إلى اليمين ترين «حديقة ساحة ماديسن»، وبعد فترة قصيرة سترين إلى اليسار ناطحة سحاب «أمباير ستيت»».

الشارع الخامس بواجهات متاجره الفاخرة ذات العروض المذهلة لعيد الميلاد بدا أجمل مما تصورته. كانت حشود المارة وحركة السير تفوق كل توقعاتها. ولمزيد من الشعور بعيد الميلاد، ابتدأ الثلج يتساقط بهدوء فأخذت تتمتم مبتهجة.



عندما اقتربا من الشارع الخامس سأله بيركنز: «هل نقف هنا يا سيدي؟».

التفت دانييل إلى رفيقته: «ابتدأ الثلج يتساقط. هل ما زلت واثقة أنك تريدين أن تمشي؟».

- نعم، من فضلك.

- هذا حسن يا بيركنز، شكراً. لا تزعج نفسك بالخروج من السيارة. وسأدعك تعلم متى تأتي لأخذنا.

حالما وقفت السيارة، قفز دانييل منها ومد يده إلى شارلوت، فأخذتها كارهة، وقد اهتز كل عصب فيها للمسته، ثم تبعته على الرصيف حيث محا دوس الأقدام الكثيرة سجادة الثلج عنه.

التفت إليها وجذب قلنسوة الرداء على رأسها، ثم تأبط ذراعها. فأخذت شارلوت تحذر نفسها من الأمسية التي تنتظرها.

في ليلة واحدة حالفها الحظ، فأنجزت أكثر مما تجرأت على التفكير فيه. ولو بقيت محظوظة بهذا الشكل، لعادت إلى بيتها بسرعة، راضية بأنها ثأرت نوعاً ما، لموت تيم.

***

# ٤ ـ عروس الثلج

سألها: «هل نذهب أولاً لنلقي نظرة على «كاتدرائية سانت باتريك»، ثم نذهب بعد ذلك لنرى شجرة «روكفلر» المركزية؟».

فأومأت موافقة. أخذا يسيران باتجاه الكاتدرائية الرائعة. وعندما ملأت شارلوت عينيها من مظهرها الرائع، تابعا السير لرؤية «مركز روكفلر» الضخم.

وعندما اقتربا من «البلازا» هتفت: «آه، حلبة تزلج على الثلج في الهواء الطلق؟ هل هي موجودة دوماً؟».

ـ من تشرين الأول إلى نيسان فقط. في الأشهر الحارة تتحول حلبة التزلج إلى مطعم صيفي في الهواء الطلق.

ـ إنه رائع!.

قالت هذا بصوت خافت وهي تنظر إلى التمثال الذهبي الضخم الذي يشرف على المكان.

ـ طوله ستة أمتار، لكن الشجرة جعلته يبدو قزماً بجانبها.

نصبت شجرة العيد العملاقة بجانب حلبة التزلج، حيث ترك المتزلجون آثارهم على شكل دوائر ثلجية حولها. كانت الشجرة مشدودة إلى أربعة مبانٍ مجاورة بأسلاك قوية. ودون إنذار، أخذ دانييل يدها، مرسلاً هزة شوق في سائر أنحاء جسدها. وإذ وجدها باردة، وضعها مع يده في جيبه الدافئة. وفجأة أصبح تنفس شارلوت سريعاً ومضطرباً.



وحاولت أن تركز اهتمامها على الشجرة المزينة بشكل رائع بأسلاك من المصابيح والحلى الرخيصة. المشهد بأكمله كان سحرياً.

وعندما وقفت مسحورة، أخذت رقائق الثلج تهطل حولهما كقصاصات الورق التي تُنثر في الجو أثناء الأفراح فتستقر على قلنسوتها وعلى شعر دانييل الأسود.

كان بإمكانها أن تطيل بقاءها لكنه بعد برهة قال: «الأفضل أن نذهب قبل أن يصيبك البرد».

لم يسيرا سوى عدة أمتار وإذا بصوت نسائي يصرخ: «آه، دانييل! ما أجمل أن أراك!».

وقفت فتاة سوداء الشعر رائعة الجمال تسدّ طريقهما. كانت تحدق في دانييل ولهى، فقال: «حسن أن أراك. كيف حالك يا ماريا؟»

حياها بمودة لكن دون حماسة، فقالت معنفة: «أنا بأحسن حال. شكراً. كنت أرجو أن تقبل دعوة أبي إلى العشاء تلك الليلة».

ـ كما شرحت لأبيك، كان لدي رحلة عمل.

ـ لكنك عدت الآن وستأتي إلينا في احتفالنا البيتي بالعيد، أليس كذلك؟

ـ آسف. هذا غير ممكن.

فشحب وجهها: «أعطنا وعداً على الأقل بأن تأتي الليلة السابقة للعيد لنمضيه معاً».

ـ آسف لعدم إمكاني أن أعدك.

ـ لماذا لا؟

ـ قد أمضي العطلة في الخارج.

ـ وإذا غيرت خطتك. . . ؟

ـ سأخبرك.

وابتسم بأدب، ثم أومأ إلى مرافقها الذي كان يقف في الخلف ثم



www.elromancia.com

ابتعد بشارلوت التي سألته بعد ذلك: «هل هي حبيبة سابقة؟ أم حبيبة مستقبلية؟».

ـ لا هذا ولا ذاك. ماريا هي ابنة رجل أعمال من معارفي.

ـ إنها تحبك.

قالت هذه الكلمات فجأة قبل أن تستطيع منعها.

ألقى عليها نظرة جانبية ثم سألها بهدوء: «أتراني لاحظت لهجة لوم في قولك هذا»؟

ـ الحب يؤذي أحياناً.

ـ صدقيني إذا قلت إنني لم أفعل ما يشجعها على ذلك. وعلى كل حال، ذلك مجرد افتتان.

ـ ولهذا ستحاذر من أن تستغل ذلك؟

ـ سأكون ملاماً جداً لو فعلت. إنها ليست سوى صبية صغيرة لا تكاد تبلغ الثامنة عشرة.

وفكرت شارلوت بمرارة أن جانيس أكبر بعام واحد فقط، ولكن ذلك لم يمنعه من محاولة إغراءها.

كل سرورها السابق محته هذه الذكرى. صرفت بأسنانها وتابعت سيرها خلال الليل الذي فقد الآن سحره.

كان مطعم «لاهاثانا» قائماً في الطابق الأعلى من مبنى «كونواي» الفخم. خرجا من المصعد إلى ردهة رخامية رأتها شارلوت وكأنها تراها في الأفلام.

ـ ما أجمل أن نراك مرة أخرى يا سيد وولف!.

جاء هذا الترحيب من رجل يرتدي بذلة مسائية أنيقة: «سيكون غاستون هنا بعد لحظة لكي يأخذكما إلى مائدتكما».

ـ ها قد عدت إذن دانييل!

وتوجه نحوهما شاب طويل حسن المظهر ذو شعر أشقر جميل،



مبتعداً عن مجموعة من رجال الأعمال دخلت لتوّها.

قال وعيناه الزرقاوان اللامعتان مائلتان نحوها بفضول ساخر: «كيف كانت رحلة لندن؟».

أجاب دانييل ومظهره يدل على أنه لم يرحّب بقدوم هذا الشاب: «جيدة. شكراً»

ـ هل ستأتي إلى العمل غداً؟

ـ لا أعتزم القدوم إلى العمل قبل العيد، باستثناء اجتماع للتمويل في الثالث والعشرين من الشهر، إلا إذا كان هناك مشاكل.

ـ لن تحدث أية مشاكل، وقد تمت صفقة «سميتسون» على ما يرام.

وتحولت عيناه مرة أخرى إلى شارلوت وتلكأ. ودفع التهذيب دانييل إلى إجراء التعارف: «شارلوت، أريدك أن تتعرفي إلى ابن خالي ريتشارد شيرلاند والذي هو أيضاً المدير التنفيذي عندي».

مدّت شارلوت يدها باسمة وقد أعجبها الرجل لأول وهلة: «تشرفنا».

صافحها ريتشارد وقد بدا مترنحاً إزاء ابتسامتها وقال: «مسرور جداً لمعرفتك يا آنسة ميشيل. أتمنى لو أن كل الموظفات البديلات يماثلنك جمالاً».

قال ذلك ببراءة جعلت مدحه هذا، رغم سذاجته، ساحراً في نظرها. وتابع يقول: «إذا جئت إلى مكتبي مباشرة يوم الإثنين، سيسرني أن أطوف بك المكان شخصياً...»

فقاطعه دانييل: «لن تبدأ الآنسة ميشيل العمل صباح الإثنين».

فقال ريتشارد دون أن يحوّل عينيه عنها: «طبعاً، فأنا أتوقع أن تحتاجي إلى وقت تستقرين فيه. حيث أننا سنكون في نفس المبنى، إذا أردت أية مساعدة فقط اتصلي بي هاتفياً».

ـ شكراً. هذا لطف منك.

مودته وحماسته ذكراها بالجرو الذي كانت تملكه وهي طفلة. عاد يقول بلهفة واضحة: «بما أنك جديدة في نيويورك هل يمكنني أن آخذك إلى الغداء غداً. هل أتصل بك هاتفياً في الصباح؟».

ـ شكراً، لكنني...

فقال دانييل وهو لا يكاد يخفي ضيقه: «حيث أن شقة الشركة ما زالت مشغولة، الآنسة ميشيل تقيم معي لعدة أيام».

ـ لم أدرك أن الشقة ما زالت مشغولة. وفي الواقع أنا...

عندما رأى دانييل رئيس الندل قادماً، قاطعه: «المعذرة، لأن مائدتنا تنتظر».

وأمسك بمرفق شارلوت وهم بأن يسرع مبتعداً بها، عندما ناداها ريتشارد: «إذا احتجت إلى مساعدة من أي نوع يا آنسة ميشيل، أخبريني».

ـ شكراً.

ومنحته ابتسامة سريعة شاكرة.

حيّا رئيس الندل دانييل باسمه ثم قادهما إلى مائدتهما. في طريقهما نظرت شارلوت إلى دانييل خلسة فرأت فكه متوتراً وجبينه مقطباً.

تمنت أن يكون غيظه من قريبه يعني اهتمامه بها وغيرته عليها. أنبأتها غريزتها بذلك، ولكن عليها أن لا تعتمد على ذلك.

كانت قاعة العشاء فخمة للغاية ومزينة باللونين الأبيض والذهبي ويزيدها جمالاً مشهد الجبال والسماء المشرفة عليها. وفي الناحية البعيدة من القاعة، كانت الأوركسترا تعزف لحناً قديماً. أمّا الموائد فبدت متباعدة عن بعضها البعض، بينما انتشرت في الأنحاء حجرات صغيرة جانبية متسترة.

لاحظت شارلوت أنهما اقتيدا إلى أكثر هذه الحجرات انعزالاً، وتساءلت عما إذا كان دانييل قد اعتاد أن يحضر نساءه إلى هنا. وانتبهت



فجأة إلى أن دانييل ينظر إليها. لم ينظر إليها رجل قط من قبل بتلك الطريقة. إلى شعرها، إلى وجهها، داخل عينيها. إنه ينظر إليها وكأنه لا يشبع منها. تلك النظرات جعلتها واثقة أنه يرغب فيها، لكنها تريد منه أكثر من ذلك.

قال دانييل بلطف: «أنت ساحرة تماماً».

ـ أراهن على أنك تقول هذا لكل نسائك.

فقال هازلاً: «تتكلمين وكأن هناك حشداً كبيراً منهن»

ـ وماذا عن النساء اللواتي دواماً تبدو برفقتهن في الصحف؟

ـ لا أنكر أنني خرجت مع كثير من النساء، ولكن...

ـ خرجت مع نساء كثيرات؟ إنها طريقة لبقة للتعبير عن المسألة.

ـ أية مسألة؟.

ـ عن القول إنك تأخذهن إلى السرير؟

فكشّر باشمئزاز: «ذلك يحصل من وقت لآخر، عندما يكون لرفيقتي طريقة التفكير نفسها والرغبة بالتسلية والترويح عن النفس».

ـ إذن بكل بساطة، أنت تستمتع بهن ثم تتركهن.

فقد شعرت بثقة غريبة أن ليس ثمة امرأة تتركه بإرادتها.

تنهد بسخرية: «يبدو أنني لا أستطيع أن أفوز. فإذا أنا أنكرت ذلك سأتهم بأن لدي «حريم»».

ـ أتعني أن ذلك ليس صحيحاً؟.

ونظرت إليه من تحت أهدابها الكثيفة متعمدة أن تعبث معه بوضوح.

ـ لا، مع الأسف. ومهما حاولت الصحف أن تجعل الناس يعتقدون ذلك، لم يجتمع لدي ذلك العدد كلّه من النساء. ليس أكثر من امرأة واحدة كل مرة.

فقالت مداعبة: «ظننتك تستغل الطابق الأعلى من بيتك».



www.elromancia.com

ـ عشت في المنزل فترة ليست قصيرة وإلى حين مجيئك لم تسكن هناك سوى امرأة واحدة.

تساءلت شارلوت، بانقباض غريب في صدرها، كم هي مفضلة لديه تلك المرأة، عندما أضاف يقول: «هل يمكنك حقاً أن تعتبري السيدة مورغان من نوع «الحريم»؟».

أطلقت ضحكة قصيرة مختنقة. ومال هو نحوها ثم لامس خدها بإصبعه وقال بصوت أبح: «يجب أن تضحكي كثيراً، فهذا يلائمك».

ردت بحدة وهي ترتعش للمسته: «لم يكن لديّ مؤخراً الكثير من الأسباب التي تجعلني أضحك».

لاحظت المرارة في صوتها فعضت شفتها وهي تعنف نفسها... يا للغباء، ربما سيسألها عن السبب؟

لكن دانييل ندم لما قاله دون تفكير، وسرعان ما جاء النادل بقائمة الطعام: «مساء الخير يا سيد وولف».

ـ مساء الخير يا جورج.

ـ إذا لم يكن في ذهنك نوع معيّن من الطعام، أقترح عليك هذين الطبقين من سمك السلطان ابراهيم مع الكزبرة أو من الأوز البري. وهما ممتازان.

نظر دانييل إلى شارلوت متسائلاً: «هل يعجبك السمك سلطان ابراهيم أم تفضلين أن تختاري بنفسك؟».

فأجابت بارتياح: «لا. هذا الطعام جيد تماماً».

وعندما ابتعد النادل، جلس دانييل بهدوء يتأمل وجهها وهو غير واثق من مزاجها. وإذ رأت أنه ترك لها أن تختار موضوع الحديث، قالت: «أنت قلت إن السيد شيرلاند قريبك».

ـ نعم، ريتشارد هو ابن خالي، وإن لم يكن هذا سبب توظيفي له. وإذا ظننت أن المسألة هي محاباة، فانسي ذلك لأنه يستحق خبزه. ورغم



تصرفاته المتحمسة، هو رجل أعمال لامع، ينسجم بسرعة مع الناس، وهذا يجعله نافعاً من الناحية الاجتماعية، كما أنه محبوب من الموظفين.

ـ هذا لا يدهشني.

ـ هل أعجبك؟

ـ نعم، كثيراً.

وإذ رأت لمحة من الضيق تعبر وجهه سألته: «لماذا أخبرته بأنني لن أبدأ العمل يوم الإثنين؟».

ـ لا بد أن اختلاف الزمن هنا عمّا هو في لندن سوف يشعرك بالإرهاق.

ـ من المؤكد أنني، حينذاك، لن أسقط نائمة على المكتب.

ـ ربما لا. لكنني لا أتوقع منك أن تبدأي العمل إلا بعد انتهاء عطلة العيد. هذه الأيام القليلة السابقة للعيد يمكنك استغلالها في التعرف إلى المدينة.

فسألته بمرح: «هل أنت كريم بهذا الشكل مع كل موظفيك؟».

وتلاقت أعينهما: «ماذا تريدينني أن أقول؟ إنك استثنائية؟».

تردّدت، ثم قالت: «طبعاً لا. ولماذا أكون استثنائية؟».

ـ يمكنني أن أفكر في سبب واحد على الأقل.

خفق قلبها، لكن كل ما قالته هو: «أوه!».

ـ مشروع التبادل هذا هو مشروعي أنا، ونتيجته تهمني جداً. فأنا أريد أن يجري كل شيء بانسجام، وهكذا أحب أن يكون الفريقان سعيدين.

صدمها الواقع الجاف، فسألته: «إذن، ستمنح بديلي في لندن العطلة نفسها؟».

لمعت عيناه وقال: «ماثيو كيرتس الذي سيأخذ مكانك، لن يذهب إلى لندن إلا بعد انتهاء العطلة، وهكذا الجواب هو «لا»».



www.elromancia.com

ثم أضاف بلهجة ذات معنى: «وأنا أيضاً سآخذ عطلة خلال هذا الوقت».

وكانت على وشك أن تسأله عما إذا كان هناك سبب معيّن، عندما وصل أول نوع من الطعام. فسكتت.

أدركت شارلوت أنها تشعر بالجوع، فبدأت تأكل بنهم. أمّا دانييل فراح يأكل بهدوء دون عجلة أو تباطؤ.

وعندما انتهيا معاً قالت: «كان الطعام ممتازاً».

ـ مسرور لأنه أعجبك، والآن هيا اسأليني.

فقالت متصنعة البراءة: «أسألك عن ماذا؟».

ـ عن سبب أخذي عطلة العيد مبكراً.

ـ حسناً، لماذا أخذت عطلة العيد مبكراً؟.

ـ لكي أريك أنحاء المدينة.

حاولت أن تخفي ابتهاجها، فأجابت: «هذا لطف بالغ منك. ولكن هل أنت واثق أن بإمكانك الاستغناء عن هذا الوقت؟».

ـ واثق تماماً. إنني متشوّق إلى عطلة لبضعة أيام...

في تلك اللحظة جاء النادل فجمع الأطباق الفارغة ووضع النوع الثاني من الطعام، ثم خرج، فعلّقت شارلوت: «إذن فأنت لست من نوع رجال الأعمال الذين لا يسعدهم سوى العمل».

ـ أبداً. في السنوات الأولى التي استلمت فيها إدارة شركة عرّابي كنت أعمل ستة عشر ساعة يومياً، وذلك لحاجتي إلى ذلك.

ـ والآن؟

ـ ما زلت أجدّ في العمل لأقوّي ما أملك، حتى أستطيع أن أسترخي وأستريح قليلاً عندما أتزوج. أريد أن أكون قادراً على اللعب مع أولادي، أن آخذهم إلى أماكن كثيرة وأعلمهم أشياء مختلفة، أن أمضي وقتاً مع زوجتي وأسرتي.



هذه الصورة التخطيطية للأب المثالي لم تنسجم مع صورته القوية، كما فكرت شارلوت مذهولة، ولا مع الصورة التي رسمتها الصحافة له.

ما هي صورته الحقيقية إذن؟ رجل الأسرة المناسب الذي يشعر بمسؤوليته؟ أم الشاب العابث الذي يسعده أن يغوي فتاة في التاسعة عشرة من عمرها كانت ستتزوج من رجل آخر؟ حسناً، من المؤكد أنه الرجل الأخير! ولكن هل من الممكن أن يكون الإثنين معاً؟.

ـ ما رأيك في سمك السلطان ابراهيم؟

فوجئت بسؤاله وهي لم تكد تتذوّق السمك، لكنها قالت: «جيد جداً، شكراً».

ثم عادت إلى الموضوع: «قرأت مقالة تقول إنك أعزب غير نادم».

ـ أنا سعيد حتى الآن، لكنني سرعان ما أصبح في الثلاثين، وأحب أن يكون لي أولاد وأنا شاب يمكنني الاستمتاع بهم...

بدا في صوته من الإخلاص ما بعث رعشة حماسة في جسدها. إذا كان قد بدأ يفكر في علاقة جادة، هناك فرصة على الأقل لنجاح خطتها.

سألته بعفوية قدر إمكانها: «ما دمت تفكر في الزواج، كيف ستختار زوجتك؟ أعني كيف تريدها بالضبط؟».

نظر إليها مفكراً: «ما دمت مواظبة على قراءة الصحف واستعراض الصور، خمّني أنت».

ـ الجمال أولاً.

ـ هذا خطأ. في العلاقة الزوجية سأضع في الدرجة الأولى.. فلأقل... النقاء، مع أن الكلمة قد تكون قديمة الطراز.

وإذ رأى دهشتها قال ببساطة: «لا أريد امرأة تشاركت السرير مع أي كان».

فتمتمت: «إنه الكيل بمكيالين القديم».

ـ أعرف أن هذا ليس عدلاً، ولا أريد أن أدافع عن نفسي، ومع ذلك هذا ما أشعر به.

لم تجد في صدقه ما يشين، فقالت: «الجمال إذن في الدرجة الثانية؟».

ـ لا. اللطف والذكاء هما أهم منه بكثير. الجمال هو منحة لكنه ليس ضرورة، ما دام هناك جاذبية بيننا.

ـ أنت إذن تخطط لكي...

فهز رأسه: «لا أحد يمكنه التخطيط لإحداث التجاذب بين اثنين. يجب أن يكون الأمر تلقائياً».

سرت فيها رجفة: «وماذا بالنسبة إلى المال؟».

ـ لدي الكثير منه.

تذكرت ما قرأته عن أن النساء اللواتي يصاحبهن معظمهن من طبقة غير مميّزة فسألته: «النشأة والأصل؟».

ـ سأصرّ على المزايا الخلقية. قد تكون النشأة الارستقراطية سيفاً ذا حدّين.

ـ وماذا عن الحب؟

أدهشها قوله بحزم: «لا يمكن الاستغناء عن الحب إذا كنت أريد أن يدوم الزواج طوال الحياة».

ـ الحب لا يضمن دوماً نجاح الزواج. أو، على الأقل، ظنّك أنك تحب.

ـ أتتحدثين عن تجربة؟

ـ نعم.

ـ ألا تريدين أن تتحدثي عنها؟

ـ ليس هناك الكثير ليقال.

رغم فضول دانييل بالنسبة إلى خطبتها المنفصمة، إلا أنه غيّر



الموضوع.

ـ الوقت في لندن الآن الواحدة صباحاً. لا بد أنك متعبة.

ـ قليلاً.

ـ حسناً. لن نبقى دقيقة أكثر مما تريدين.

عندما انتهى العشاء وملحقاته، نهض ومدّ إليها يده: «أتريدين أن نرقص قليلاً قبل خروجنا؟».

ارتجفت لفكرة أن يأخذها بين ذراعيه، فترددت ثم ذكّرت نفسها بسبب وجودها هنا، فنهضت ووضعت يدها بيده.

عندما سارا نحو الحلبة حيث بدأت الموسيقى تعزف، شعر بتوترها فهمس في أذنها: «استرخي»

كان دانييل راقصاً جيداً، سهل عليها متابعته. وبعد برهة، تلاشى توترها كالثلج في ماء دافىء.

وعندما انتهت الرقصة وتغيرت الموسيقى إلى رقصة «الفوكس تروت» البطيئة، قال: «إذا شئت الذهاب، فقط قولي كلمة».

ولكن تحت جاذبية الموسيقى اختفى شعورها بالتعب: «أنا سعيدة جداً بالبقاء».

أحب الشعور بها بين ذراعيه، فقرّبها منه ثم أخذ يتنقل معها على أنغام الموسيقى.

عند الساعة الحادية عشرة والنصف تقريباً اتصل دانييل بسائقه هاتفياً يخبره عن استعدادهما للخروج.

عندما خرجا أخيراً كان الثلج يتساقط بهدوء، كاسياً المدينة ببياض العروس. تنهدت شارلوت مسحورة بينما راح رأسها يدور ويسبح في الهواء كرقاقات الثلج هذه.

مرّت بها رحلة العودة، وهو يضع يدها تحت إبطه كحلم غير واضح. وعندما وصلا إلى البيت لم تكد تعي شكره لبيركنز، وما لبث



www.elromancia.com

دانييل أن وضع ذراعه حول خصرها ليدخلها إلى البيت الدافىء المرّحب.

في الداخل خلع معطفه وعلقه وساعدها على خلع الرداء، شعرت بالتعب فأسندها بذراعه، ثم قال: «أرى أن تذهبي إلى فراشك مباشرة. لا بد أنك مرهقة».

ـ لا، أبداً.

وبسطت ذراعيها قائلة: «يمكنني أن أرقص طوال الليل»

وتملكها المرح واللامبالاة فابتسمت له.

ـ لقد رقصنا بما يكفي.. والآن وقت النوم.

كان رأسها يدور، وكانت شاكرة جداً عونه لها وهما يصعدان السلم. لم يكن هناك صوت في المنزل، لا شك أن مديرة المنزل خلدت إلى النوم.

تذكرت بشكل غير واضح أن دانييل كان قد قال لها إنها هي ستحتل الجناح الذي كانت تقيم فيه مديرة المنزل. ووجدت نفسها تتساءل أين عساها تنام الآن تلك السيدة الطيبة؟

سألته محاولة ألاّ تبدو متوترة: «قلت إن السائق بيركنز لديه شقة فوق الكاراج. ولكن أين تنام السيدة مورغان؟».

ـ عندما جاءت كايت في البداية لتعمل لأجلي كانت أرملة، وناسبها أن تعيش في المنزل. لكنها منذ ستة أشهر تزوجت مرة أخرى وهي الآن تأتي في النهار فقط.

تلاشى عدم مبالاة شارلوت على الفور: «إذن فهي لم تعد تسكن هنا؟».

وسمعت الذعر في صوتها.

ـ لا، لكنها تعيش في مكان قريب من هنا، ولهذا لا مشكلة في ذلك.

ربما هذا لا يقلقه، لكنه يقلقها هي، كما فكرت بذعر ضبابي.



آه! لماذا لم تسأله ذلك السؤال بالذات بدلاً من الاطمئنان إلى أن هناك شخصاً واحداً آخر على الأقل في المنزل؟ وتذكرت قول كارلا: «إياك أن تدعي الذئب يستفرد بك».

لكن، هذا ما حصل الآن. إنهما وحدهما في المنزل، وهو يرغب بها... إنها واثقة من ذلك.

وإذا اليقين يتملكها بأنه، مهما حدث، لن يستعمل معها القوة. رجل يمكنه، تقريباً، أن يحصل على أية امرأة يريدها، لن يحتاج إلى ذلك... وعلى كل حال، لن تسمح له كرامة رجولته بذلك.

وحلّت الثقة في نفسها مكان الذعر. إذا استطاعت فقط أن تتقدم به قليلاً... وتجعله حريصاً عليها...

وكما قالت كارلا أكثر من مرة: «إذا أردت أن يركض الرجل خلفك، اركضي في الاتجاه المضاد».

وهكذا، ستشجعه أولاً، ثم تهرب منه...

وقفت عند الباب ونظرت إليه بعينين متسعتين: «شكراً لهذه السهرة الجميلة».

أجابها باتّزان وهو يمسك بمرفقها: «بكل سرور».

رفعت وجهها إلى وجهه، كما ترفع وجهها نحو الشمس، مستدعية عناقه بصمت.

وبدلاً من قبول الدعوة، مدّ يده يفتح لها الباب. ماذا حدث لهذا الرجل؟ أخذت شارلوت تفكر غاضبة.

لقد رأت شعلة نار في عينيه أنبأتها بأنه يرغب في عناقها، لكنه، لسبب ما، لم يفعل. حسناً، ستقوم هي بالمبادرة. مدّت راحتيها تحت ياقة سترته لكي تثبت نفسها وهي تقف على رؤوس أصابعها لتعانقه.

للحظة واحدة بقي جامداً لا يتجاوب. ثم، وكأن سيطرته على نفسه

تبددت، أحاطها بذراعيه ثم أخذ يعانقها بمشاعر محمومة أيقظت على الفور جوعاً بالغاً في داخلها.

بعد طفولة أمضتها في حنان متحفظ، لم تكن مستعدة لمثل هذا السيل الجارف من المشاعر. كل ما بإمكانها الآن أن تفعله هو أن تتعلق به بشكل متهوّر. أما كم طالت مدة العناق فهذا لم تعرفه قط.

كان رأسها يدور وعيناها مغمضتين وساقاها أضعف من أن تحملاها، ما جعلها غير قادرة على أي نوع من الاحتجاج حين حملها بين ذراعيه ودخل بها الغرفة.

* * *

عندما تحركت وفتحت عينيها رأت أشعة شمس الشتاء تتسرب من خلال الستائر، والغرفة الجميلة مليئة بضوء الثلوج.

بقيت للحظة أو لحظتين شبه نائمة، مشتتة الذهن كلياً بحيث لم تدرك أين هي. ثم عادت إليها ذاكرتها.

إنها في نيويورك وتقيم في منزل «الزنابق» مع دانييل وولف. دانييل وولف!!...

عندما عادا الليلة الماضية، عانقها، ثم حملها إلى غرفة النوم. انتصبت جالسة وشعرها متناثر حول كتفيها. عندما توقف رأسها عن الدوران، أمران أصبحا واضحين: إنها وحدها في هذا السرير المزدوج، وهي ما زالت مرتدية ملابسها، حتى جوربيها الحريريين... وجذبت نفساً عميقاً مرتجفاً.

نعم، لقد تذكرت كل شيء الآن. رغم أن عينيها مغمضتان ورأسها يسبح داخل وخارج الوعي إلا أن بإمكانها أن تتذكر بشكل ضبابي أنه ساعدها لتتمدد على السرير قبل أن يخلع عنها حذاءها. ثم نزع الدبابيس من شعرها وغطاها ليخرج بعد ذلك مغلقاً الباب خلفه.

هو الذي يستوجب الشكر لأن لا شيء حدث بينهما وليس هي...



ليس هي بكل تأكيد. محاولتها لاجتذابه أفسدت كل شيء. لا بد أنها جنّت! وإذ تذكرت كيف انتهى الأمر، ارتجفت.

لقد أثّر فيها عناقه بشكل لم يحدث لها مع بيتر. لو أراد دانييل أن يشعل النار فيها لما استطاعت المقاومة، وهو أكثر خبرة من أن يجهل ذلك.

قطبت جبينها... لو كان يريدها كما كانت تظن، لاستغل ضعف وضعها ذاك بكل تأكيد. لكنه لم يستغلها، فقد وضعها في السرير كأب يضع طفله في الفراش ثم خرج.

لماذا؟

أتراها قد خيّل إليها أنه يهتم بها؟ رغم أنه دعاها إلى العشاء وأعلن نيته في أن يريها معالم نيويورك، ربما لا يرى فيها سوى مجرد موظفة عنده!.

إذا كان هذا صحيحاً، لا بد أنه اشمأز من تصرفها.

نظرت إلى الأمر من وجهة نظره فشعرت بخزي بالغ مرّ من تصرفها ذاك. وتذكرت كيف تخلص من ماريا بلطف ولكن بحزم فشعرت بالمذلة.

رجل يتصرف بهذا القدر من الإحساس، لا بد أنه اعتاد أن تلقي النساء بأنفسهن عليه، وحيث أنه لا يعلم ما جعلها تأتي إليه، فقد ظنها رخيصة حمقاء. وقريباً جداً عليها أن تواجهه. ولم تكن هذه فكرة مريحة.

فما العمل الآن وأين أصبح هدفها؟

أغاظتها حماقتها ونظرت إلى ساعتها لتجد أنها نامت على مدى اثنتي عشرة ساعة تقريباً وحان الوقت لتترك السرير وتواجه المأزق الذي أوقعت نفسها فيه.

* * *

# ٥ ـ اللعب بالنار

اغتسلت وارتدت ثوباً من الصوف الناعم، ثم أخذت تمشط شعرها. ثم.. توقفت فجأة وهي تتذكر كيف أن دانييل، بعد أن نزع الدبابيس من شعرها، جلس على حافة السرير وأخذ يمرّ بيده على خصلاته. تأثرت بشدة لهذه الذكرى، وعندما لفّت خصلات شعرها اللامعة بشكل كرة، كانت يداها غير ثابتتين. لم تستطع تفسير ذلك التأثير، فتنهدت ثم اتجهت كارهة إلى الباب، شاعرة بالاضطراب والعجز.

رغم أن النار كانت مشتعلة في الموقد، والصحيفة موضوعة على الأريكة، إلا أن غرفة الجلوس كانت خالية. قرعت باب المكتبة فلم تسمع جواباً، فسارت إلى المطبخ، وإذا بها تجد دانييل واقفاً عند حوض الغسيل.

كان كمّا قميصه مثنيين إلى الأعلى يبرزان ساعديه القويتين ومنشفة الأواني مدسوسة في حزامه، وهو يعصر البرتقال. بدا شعره مشعثاً قليلاً، ورغم انخراطه في أعمال منزلية كان يبدو رائع الرجولة والجاذبية.

نظر إليها: «صباح الخير، أو بالأصح مساء الخير».

لم تعبّر نظرته عن شيء من الازدراء أو الإدانة كما خشيت، بل قال ببشاشة: «توقيتك ممتاز، فقد ابتدأت لتوّي في إعداد الغداء».



وقفت تحدّق إليه. آخر ما توقعته هو مثل هذه المودة العفوية.

ـ أرجو أن تكوني قد نمت جيداً.

ابتلعت ريقها: «جيداً جداً».

فابتسم لها: «لا أظنك منزعجة من آثار السهر في الليلة الماضية؟».

تسارعت دقات قلبها ووهنت ركبتاها لسحر ابتسامته وأسنانه الرائعة: «لا، أنا بأحسن حال. شكراً».

وجاء صوتها أبح متلعثماً.

ملأ دانييل كأسين من العصير وناولها واحداً: «أرجو أنك تحبين العجة مع الخضار، وإلا يمكنني أن أجهّز قريدس مع الثوم».

فاندفعت تقول: «بشأن الليلة الماضية.. لا بد أن الرحلة بالطائرة النفاثة، وإطالة السهر قد أثّرا علي... لكن ذلك لا يبرّر تصرفي..».

فهز رأسه: «أنا من عليه أن يعتذر. كان عليّ أن أدرك أن السهر حتى وقت متأخر مع تعبك البالغ ذاك سوف يرهقانك. بقاؤك واقفة على قدميك كل تلك المدة هو معجزة بحدّ ذاته».

إزاء نبذه كل مسؤولية عنها، تمالكت نفسها وقالت: «العجة لذيذة».

ـ لست واثقاً من صفة «لذيذة» تلك. ربما يمكن أن توصف بأنها صالحة للأكل... من المفترض أن أكون بارعاً في الطهو أكثر مما أنا عليه في الواقع.

ـ يدهشني أنك لا...

وسكتت فجأة.

ـ لا أوظف طاهية عندي؟

ـ نعم.

ـ بالإضافة إلى أنني أريد أن أكون وحدي في البيت أثناء العطلة الأسبوعية، فأنا أحب أن أدرّب يديّ.

وأضاف ضاحكاً: «وها أنذا الآن، لدي ضيفة أسيرة لكي أجرب عليها مهارتي في الطهو».

تجاوباً مع مزاحه هذا، رفعت يدها إلى عنقها وجحظت عيناها خوفاً، وهي تشخر، فانفجر ضاحكاً.

ثم سألته بجديّة: «هل لديك قبو هنا؟».

ـ لماذا تسألين؟

ـ لا يبدو عليك القلق بالنسبة إلى تسمم ضيوفك.

فقال متفكهاً: «أتعنين الزرنيخ؟ لا تخافي. أعدك بأن أجرب كل شيء أولاً».

كانت أسنانه تلمع وعيناه تتألقان بالضحك. إنه لا يقاوم! أدركت شارلوت أنها في خطر الوقوع في حبه. يا ليت الماضي ينمحي كخط مرسوم بالطبشور على اللوح الأسود! ولكن هذا مستحيل طبعاً، فما مضى لا يمكن تغييره، وكذلك حقيقة أن دانييل، مهما كان وسيماً جذاباً كما يبدو الآن، له جانبه المظلم السيء للغاية.

لاحظ تغيّر ملامحها فقال ساخراً: «إذا كان الأكل هنا يخيفك حقاً، يمكننا أن نخرج إلى المطعم».

فهزت رأسها باسمة: «لا أريد ذلك على الإطلاق. والآن وقد أثرت شهيتي، لم أعد أستطيع الصبر عن تذوق طعامك».

ـ يا للمرأة الشجاعة... أم يجب أن أقول المتهورة؟

ـ أنا واثقة أنك تطهو عجة رائعة.

كانت المائدة جاهزة فسحب كرسياً وهو يقول: «الأفضل أن تجلسي وتتلي صلاتك».

جلست ورشفت عصير البرتقال وهي تنظر مأسورة إليه وهو يكسر البيض ويعدّ قرصاً واسعاً سميكاً.

ما كان بيتر، خطيبها السابق، ليضع قدماً في المطبخ، بل كان يقول



بازدراء إنه وظيفة المرأة.

حركات دانييل السريعة الواثقة جعلته يبدو وكأنه في مكتبه وليس في المطبخ، وذلك دون أن يخسر ذرة واحدة من رجولته. وضع نصف القرص في صحنها ثم جلس قبالتها.

كانت هذه الوجبة البسيطة مع الخبز المحمص والسلطة لذيذة، وقالت له هذا. فقال: «هذا مديح بالغ منك، ولأجل ذلك سآخذك لتتفرجي على معالم المدينة. من أين تريدين أن تبدأي؟».

ـ أحب أن أتمشى في «حديقة سنترال» العامة.

ـ هل لديك حذاء وملابس دافئة؟

ـ نعم.

ـ إذن، سنذهب إلى هناك.

* * *

أثناء الأيام القليلة التالية، رغم استمرار تساقط الثلوج، كانا يخرجان من الصباح إلى الليل للتفرج على معالم المدينة والتعرف عليها. أحياناً بالسيارة وغالباً على الأقدام.

زارا «باتري بارك» وتمثال الحرية وناطحة السحاب «إمباير ستيت»... تغدّيا في «تيفاني» وتعشيا في «رينيو روم»، كما أراها الأماكن الأقل شهرة في «مانهاتان» حيث تسود روح جماعية حقيقية، وحيث يقطن الفقر بجانب الثراء. اشتريا عرانيس ذرة وكستناء مشوية شهية الرائحة من الباعة في الشارع، وضحكا كثيراً عندما لذعت سخونتها أصابعهما. وفي طريقهما إلى «الحديقة الشتوية» توقفا لتناول القهوة في مقهى «الإرسالية الغربية للمتشردين» التي أسسها ويساندها دانييل وحده كما أخبرها الكاهن هناك. ثم اصطحبها لتناول الطعام في مطعم صغير تحت الأرض، على ضوء شموع تشتعل في زجاجات فارغة،



www.elromancia.com

حيث تذوقت أشهى أنواع الطعام.

في عصر أحد الأيام، بعد أن أخذا يتفرجان على المتزلجين على الجليد، استأجر دانييل فرساً وعربة تنقلهما في حديقة سنترال بارك المغطاة بالجليد، وعند المساء ذهبا إلى قاعة «جورج جيرشوين» للموسيقى.

أخذت شارلوت تكوّن فكرة حقيقية عن نيويورك. ولكن كما عرفت الكثير عن المدينة، عرفت أيضاً الكثير عن الرجل نفسه.

رأته هادئاً منضبطاً، ذا اهتمامات كثيرة، يتميّز بروح مرحة معدية للآخرين، واضح القول حسن الاطلاع. وكان محدثاً لبقاً ومستمعاً جيداً، كما يحب الصمت في بعض الأحيان.

اكتشفت أن لديه حساً بالفكاهة وحساً قوياً بالعدالة. ورغم أنه كان محط أنظار النساء، إلا أنه لم يكن مغروراً.

أما الأهم من كل هذا، فقد انتبهت إلى التجاذب القوي بينهما. إنها تشعر بقوة به دوماً. كانت حواسها، وهي في صحبته، أكثر انسجاماً وتركيزاً، الأصوات أكثر وضوحاً، الألوان أشدّ تألقاً، الروائح أشد إثارة للمشاعر.

أما دانييل، رغم أنها من وقت إلى آخر كانت تلمح في عينيه نظرة تجعل قلبها يخفق، فقد كان يعاملها بروح من الصداقة الحريصة.

ومع ذلك، شعرت أن هناك أكثر من مجرد الصداقة. كان أحياناً يغازلها بهدوء. ولكن رغم أنه كان يمسك بيدها أحياناً أو يضع ذراعه حول خصرها، إلا أنه حين يكونان محاطين بالناس لا يحاول أبداً أن يلمسها ولا أن يعانقها حين ينفردان معاً. وفي كل مساء كان يرافقها إلى الطابق الأعلى ثم يحييها على باب غرفتها تحية المساء.

من الدرس الذي تعلمته مؤخراً، ورضاها عن كيفية سير الأمور، حرصت على أن لا تسرف في التقرب إليه. وقاومت أي إغراء للعب



بالنار.

لو أنه لم يكن ذلك الرجل الذي تعرفه، لكانت هذه أسعد أيام حياتها. فقد أحبت أشياء كثيرة فيه، كما لم تر شيئاً منه تكرهه. ما عدا سجله الماضي.

قبل عيد الميلاد بيومين، تناولا عشاء مبكراً في مطعم «ڤيليج تافرن» قبل أن يذهبا إلى الحفلة الموسيقية التي تنشد أغاني عيد الميلاد في الهواء الطلق في «حديقة ساحة واشنطن».

كانت ليلة قارسة البرد. وبدلاً من أن يتصل دانييل بسائقه ليأتي لأخذهما، طلب سيارة أجرة لتعود بهما إلى البيت. وصلا إلى البيت والبرد يخترق عظامهما.

كانت السيدة مورغان قد أشعلت النار قبل خروجها، ورائحة القهوة تعبق من المطبخ. بعد أن خلعا ملابس الخروج، حرك دانييل الجمر في المدفأة فعادت النار تتوهج، ثم قال لشارلوت: «لماذا لا تجلسين أمام النار بينما أحضر أنا القهوة؟».

سرّها ذلك فجلست على الأريكة ومدت قدميها أمام النار.

ـ هذه الطريقة لن تدفىء قدميك أبداً.

وجثم أمامها ثم خلع لها حذاءها، ثم أخذ يدعك قدميها بيديه الواحدة بعد الأخرى.

منذ وفاة أمها، لم يعاملها أحد بذلك الحنان والاهتمام.. شعرت بغصة في حلقها إزاء هذه الرعاية وجلست جامدة صامتة ونظراتها مسمّرة على شعره الأسود.

سألها بعد قليل: «هل تشعرين بتحسن؟».

ـ نعم، شكراً.

أجابته بصوت أبح وقد غمرها إحساسها بقربه منها، ولمسه لها. وعندما تركها وابتعد، تنفست الصعداء. جلست تحدّق في اللهب وفي

تلاعب الظلال على الجدران والسقف. . . لكنها ما زالت تشعر بلمسات يديه وتتذكر كيف أن شعره الأسود الكث رغم قصره، يحاول أن يتكوّم على رقبته.

لا! عليها ألاّ تفكر في ذلك. عليها أن تستمرّ في تذكير نفسها أي نوع من الرجال هو حقاً. ربما يبدو مختلفاً، لكن هذا ليس صحيحاً، فالفهد لا يستطيع تغيير جلده. . . وعاد من المطبخ: «تفضلي»

وناولها فنجاناً بيشاشة وهو يضيف: «إن البرد القارس يلزمه مشروب ساخن للتدفئة».

وجلس بجانبها ومدّ ساقيه نحو النار. احتكّ جسمه القوي بجسمها فقفزت مجفلة حتى كادت تهرق قهوتها. وعلى الفور، ابتعد عنها دانييل قليلاً، لكن الجوّ امتلأ فجأة بالتوتر.

راح يحدّق أمامه مباشرة، وأنبأتها نظرة سريعة إلى جانب وجهه الجميل أنه يجاهد في سبيل التحكم في نفسه.

في لهفتها إلى تبريد الموقف حتى تنهي قهوتها وتهرب إلى جناحها الخاص، أخذت تبحث عن موضوع للحديث.

ـ أتصوّر أن شقة الشركة قد أخليت الآن. فمتى تريدني أن أنتقل؟

بعد فترة صمت قال بهدوء: «حسناً، إنها لم تجهز بعد. سألت عنها منذ أيام ولم تكن قد عادت كما ينبغي فأعطيت أوامر بأن يعاد طلاؤها أولاً. . .»

وتابع يقول: «من المفترض أن يأتي إليها العمال غداً. ولن يكتمل العمل إلا بعد العيد. وهكذا ستبقين معي، مع الأسف، أثناء ذلك. هذا إذا لم يكن لديك مانع».

ـ ولكن ألن تسافر في عطلة العيد؟

ـ فكرت في الذهاب إلى بيت الأسرة لعدة أيام، فإذا ذهبت. . .

فقالت بسرعة: «يمكنني أن أنتقل إلى فندق».



ـ وتبقين وحدك في عطلة العيد؟ لا أريد أن أسمع ذلك. كنت سأقول إنني أريدك أن تذهبي معي.

ـ لا سبيل إلى أن أحشر نفسي بينكم أيام العيد. ماذا سيكون رأي والديك؟.

ـ لو كانا حيين، أنا واثق من سرورهما. لكنهما قتلا في حادث عندما كنت أنا في الجامعة.

فقالت بهدوء: «آسفة».

ـ عدا عن ريتشارد ووالديه، لم يعد لي أقارب في ولاية نيويورك.

ـ أليس لديك أخوة؟

ـ أخت أصغر مني هي غليندا، متزوجة من كندي وتعيش في «ڤانكوڤر». . . وهكذا ترين أنني لولاك لأمضيت العيد وحدي. ألا تحبين أن تري «جبال كانتسكيل؟».

ـ كثيراً، ولكن. . .

وتردّدت. . . ما الفائدة من قضاء العيد وحدها في فندق؟ عليها أن تستغل هذه الفرصة لتكون معه. لكنها ستكون كمن يلعب بالنار. ربما بقيا وحدهما في مكان ما. سواء كانت رغبته بها عابرة أم أنه يأخذ الأمر بجدية، فهو غاوٍ متدرب.

الأفضل أن تكون واثقة من أنها تريد أن تلعب هذه اللعبة. لكن. . لو كان مهتماً بها حقاً، أما كان شرع في إغوائها قبل الآن؟

قال: «ربما مللت صحبتي؟».

فقالت وهي تضع فنجانها: «لا. ليس الأمر كذلك».

ـ ما هو إذن؟

ـ حسناً، أنا. . .

ـ ربما لا تحبين قضاء العطلة بهدوء. إذا كان هذا هو السبب بإمكاننا أن نمضي العيد في نيويورك.



www.elromancia.com

- أنا أحببت نيويورك من أول نظرة. لكنني أحب قضاء العطلة في «جبال كاستكيل».

شعرت بسروره وارتياحه وهو يقول: «إذن اتفقنا، سأتحدث مع مديرة منزلي، ثم نسافر إلى هناك في الليلة السابقة للعيد».

وهكذا لن يكونا بمفردهما على كل حال. وقالت: «هذا رائع. دوماً كنت متشوّقة إلى رؤية كاتسكيل منذ قرأت قصة «ريب فان وينكل» في المدرسة. لكنني أظن أن المنطقة كلها تغيرت منذ ذلك الحين».

- ليس إلى الحد الذي تتصورينه. ربما اختفى كثير من نبات الشوكران السام جزئياً في المرتفعات، إلا أنه ما زال غزيراً حول بيتي المستأجر.

- جاهزاً لتسميم الجيران غير المرغوب فيهم؟

قالت هذا بمرح فضحك: «عنيت شجر التنّوب وليس النبات. رائحة ورق شجر التنوب كرائحة الشوكران حين يسحق...»

وفجأة، دون أن تدرك كيف حدث ذلك، وجدت أنهما يحدقان كل في عيني الآخر، وبعد لحظة رأت الهزل يتبدد من عينيه وتبدو مكانه نظرة هزتها من الأعماق.

وتجاوباً مع تلك النظرة خيّل إليها أن هوة انفتحت عند قدميها فأخذت تترنح، دون وعي، نحوه.

التفت ذراعاه حولها وأخذ يعانقها بلهفة وحرارة.

وفجأة لم يعد هناك في العالم سوى هذا الرجل. لا ماضٍ ولا مستقبل... الحاضر فقط والمشاعر التي تسيطر عليها. تعلقت به، وأحست، بشكل غامض، أنه يرفع دبابيس شعرها ويتخلله بأصابعه بينما يتابع معانقتها.

شعرت بشوق قاهر نحوه منعها من التنفس، وبقلبها يخفق كالرعد.



وفجأة، ابتعد عنها. فشعرت كأنها سقطت من علو شاهق. راحت نظراته تتأملها، فضوء النيران جعل بشرتها تبدو ذهبية كما أحال شعرها إلى ذهب نيراني التوهج.

بقي للحظة أو اثنتين يحدق فيها لا يجرؤ على التنفس، مفكراً أنه لم ير قط امرأة بهذا الجمال من قبل. ثم ابتسم في عينيها الخضراوين الذابلتين من المشاعر المحمومة وهو يتمتم: «يا حبيبتي الرائعة الجمال».

وفي اللحظة نفسها تحرك... ثم أخذ يبتعد عنها. ولعدم رغبتها في ذهابه، أحاطت عنقه بذراعيها.

قال برقة وبصوت أجش: «هذا حسن. يمكنني أن أبقى هنا طوال الليل، ولكن لا أريد القيام بشيء قد نندم عليه فيما بعد. كما أن الجو سيصبح بارداً بعد قليل، ولهذا من الأفضل أن نخلد إلى النوم».

ها هو مرة أخرى، يتوقف حيث لم تستطع هي أن تتوقف. يا للمذلة التي تشعر بها! ولكن، إذا كان يريدها بقوة، كما شعرت من عناقه لها. فلماذا يتراجع الآن ويرفضها؟.

ومرة أخرى، لم تكد تعرف كيف وصلت إلى سريرها وقد تحولت مشاعرها المحمومة إلى خيبة مريرة.

عندما تحركت شارلوت وفتحت عينيها كان الوقت ما زال مبكراً رغم أن انعكاس الضوء على الثلج كان يضيء الغرفة. مرت لحظات قليلة وهي مشتتة الذهن تتساءل أين هي، وإذا بالذكريات تتدفق.

الليلة الماضية ألقت بنفسها على دانييل وولف كالمخبولة وهو أبعدها عنه.

لا! لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. شعرت وكأنها تلقت رفسة، وحاولت يائسة أن ترفض هذه الحقيقة.



www.elromancia.com

تخلت عن هذه المهمة المستحيلة وأخذت تعنف نفسها.

كيف سمحت لمثل هذا بأن يحدث؟ كيف أمكنها أن تحاول إغواء رجل مسؤول عن موت أخيها؟.

لكنها فعلت ذلك، ولو لم يتوقف دانييل في اللحظة المناسبة... !!

لا يمكنها أن تقنع نفسها بأنه أغراها، ذلك أنها هي التي ألقت بنفسها عليه.

عندما كان بيتر، وهو الرجل الذي ظنت أنها تحبه، في قمة إلحاحه، كانت تصدّه بسهولة، فما الذي جعلها مستعدة لأن تمنح نفسها لرجل تكرهه؟ لكن، هل هذا صحيح؟.

يفترض أنها تكرهه، وجزء منها ما زال كذلك. لكنها فجأة أدركت وبيأس أن الأمر ليس بهذه السهولة.

بدا عناقهما المحموم في الليلة الماضية عملاً صائباً تماماً، حتى إنه كان من الصعب التصديق أن الرغبة الجسدية هي الدافع الوحيد. لا بد أن ذلك كان شعوراً أعمق بكثير.

لكن دانييل لم يكن لديه الشعور نفسه. عندما سألته مرة اعترف بأنه اعتاد أن يقيم علاقات مع النساء دون ارتباطات... من أجل التسلية فقط. ربما هو يرغب بها، ومع ذلك...

وفجأة أصبح ذهنها هادئاً واضحاً، ورأت بجلاء أن أي شعور عميق أحسّت به موجود لديها هي فقط.

إنها تحب هذا الرجل. لقد أدركت هذا أخيراً بكل بساطة. جلست برهة جامدة كالحجر وقد أذهلتها مشاعرها.

ولكن، ألم يقل أحدهم إن الحب والكراهية، وهما أعنف المشاعر البشرية، هما وجهان لعملة واحدة؟.

وهكذا بينما حاولت أن تجعله يقع في حبها، إذا بها هي تقع في حبه وذلك رغم ما تشعر به نحوه من غضب وكراهية.



ولكن كيف حدث هذا؟ كيف استطاع دانييل وولف أن يدخل إلى قلبها بهذه السرعة؟ لا شك أن هذا لم يحدث فجأة بين ليلة وضحاها. فهي كانت تشعر منذ البداية أنها منجذبة إلى صوره بالرغم من إرادتها.

لقد بعث الاضطراب في كيانها وسلب الراحة منها برجولته الفياضة.

منذ البداية كان التجاذب بينهما قوياً للغاية لكنها تجاهلته بسبب مشروعها الانتقامي. كانت واعية إلى أنها في خطر، لكنها لم تفكر لحظة أنها قد تهتم برجل سبّب لها كل ذلك الحزن وتحطم القلب.

كيف لها أن تعلم أنها ستحبه؟ حتى أثناء محاولتها أن تأسر قلبه؟. «اللعب بالسكاكين قد يجرح اليد»، هذا ما كان يقوله أبوها، وقد لعبت هي بالسكاكين، وها هي ذي تنزف. كل ما بإمكانها أن تفعله الآن هو أن تلعق جراحها وتذهب. ولكن، كيف يمكنها أن تحتمل تركها له؟. وحدثها صوت العقل أنها إذا لم تفعل ذلك فستصبح لعبة بين يديه وينتهي بها الأمر بأن تخسر كرامتها واحترامها لنفسها.

ربما بإمكانها أن تبقى فقط إلى ما بعد انتهاء العيد، إذا حاولت أن تبقي الأمر بينهما على مستوى الصداقة. ولكن، أدركت في أعماقها أنها لن تستطيع ذلك. مشاعرها نحوه تجعلها بالغة الضعف. الأمر الوحيد الذي بإمكانها أن تفعله هو أن تذهب... وبسرعة! أن تحرص على أن لا ترى دانييل وولف مرة أخرى. وبهذه الطريقة تحتفظ ببقايا كرامتها واحترامها لنفسها.

مجرد تفكيرها بتركه جعلها تشعر بيد عملاقة تقبض على قلبها، تعتصر منه الحياة. تنفست بعمق وهي تواجه حقيقة أنها إذا لم تجد القوة للرحيل الآن، فسيزداد الأمر صعوبة حتى يصبح مستحيلاً. ثم، عاجلاً أم آجلاً، سيهجرها فلا يبقى لها شيء، حتى الكرامة.

وبخفة وحرص بالغين، نزلت من السرير. أدركت من الصمت الذي يلف المنزل أن دانييل لا زال نائماً. عليها أن تسرع في الهرب قبل أن يستيقظ. اغتسلت وارتدت ثيابها بسرعة فائقة، ثم جمعت أغراضها بأسرع ما تستطيع، ملقية إياها في حقيبتها بعشوائية. ثم نزلت إلى الطابق السفلي.

كانت المدفأة مليئة بالحطب نصف المحترق والرماد، أما أكواب القهوة الفارغة فلا زالت حيث تركاها الليلة الماضية على المنضدة.

بوحشة وبشعور بالتعاسة، اختطفت معطفها وأسرعت إلى الباب ومنه إلى الشارع الذي بدأ يضج بالحياة.

***



## ٦ ـ قلب في مهب الريح

بدا الهواء قارساً والسماء غائمة. والثلج قد ازداد أثناء الليل فغطى الدرجات والرصيف.

راح الثلج يتهشم تحت قدميها وحقيبة ثيابها تلطم ساقها، وهي تسير غير واعية إلى الدموع التي تنهمر من عينيها على وجنتيها بصمت ودون توقف.

وصلت إلى آخر شارع كارڤر وهي تنقّل الحقيبة من يد لأخرى، ثم انعطفت إلى شارع أكثر ازدحاماً قبل أن يخطر ببالها أن ليس لديها أدنى فكرة عما تنوي أن تفعل.

كل ما فكرت فيه هو أن تهرب، دون أن تتوقف لتضع خطة. لكن ذلك وجب عليها الآن. رأت عبر الشارع لافتة كتب عليها «مطعم ومقهى بيني» فأخرجت منديلاً مسحت به دموعها ووجهها، ثم عبرت الشارع ودخلت المقهى.

كان المكان دافئاً فيه موائد وكراسي من البلاستيك. خلف المنضدة يقف رجل ضخم يرتدي بنطلون جينز وصداراً دون كمين وأمامه كومة من الكعك المحلى يلتهمها بنهم، وكذلك جلس عدة أشخاص حول الموائد أمامهم أطباق البيض والكعك. لاحظت أنها هي المرأة الوحيدة هناك. اختارت مائدة منعزلة في أبعد زاوية، ثم وضعت حقيبتها بجانب الجدار وذهبت لتطلب قهوة.



www.elromancia.com

نظر إليها الرجل الأصلع السمين الوجه بفضول وكان يرتدي قميصاً أبيض مقفلاً طبع عليه اسم المطعم باللون الأحمر، وسألها: «أتريدين كعكاً محلّى؟».

ـ لا شكراً.

لم تكن تحب هذا الكعك. وعادت إلى مائدتها وهي تحمل فنجان القهوة. تساءلت عما إذا كان دانييل قد استيقظ الآن، وعما إذا كان يفتقدها...

مجرد التفكير فيه جعلها تشعر بطعنة ألم سمرّتها مكانها، وراحت تتنفس وكأن رئتيها مليئتان بشظايا من زجاج.

عندما خفّ الألم قليلاً، حاولت أن تقرر ما عليها أن تفعل، مصمّمة على أن تمحو صورته من ذهنها.

عندما دفعت ثمن القهوة أدركت قلة ما تملكه من المال، وأنه لا يكاد يكفيها للذهاب بالباص إلى المطار.

ولكن ما فائدة الذهاب إلى المطار وليس لديها ثمن تذكرة؟ تنهدت بحسرة.. تسرعها أوقعها في مأزق حقيقي. آه! لماذا لم تفكر في احتمال حدوث طارىء قبل أن توافق على الحضور إلى نيويورك؟

كان الجواب واضحاً. حتى ولو فعلت ذلك فإن تصميمها على تنفيذ انتقامها كان سيرغمها على تجربة حظها. واعترفت وهي تتنهد أنها تصرفت كالمعتوهة منذ البداية حتى النهاية.

ولأول مرة، تتمنى لو كان لها حساب في البنك، ولكن اضطرارها إلى دفع نفقات كلية تيم، وملبسه ومصروفه الشخصي، جعلها تنفق كل ما لديها من مال.

والآن، ماذا ستفعل؟.

مرت فترة ناقشت فيها كل وسيلة فكرت فيها، لكن دون نجاح. ثم، كقبس من ضوء في الظلام، أدركت أن بإمكان كارلا أن



تساعدها... طبعاً ستساعدها. وهدأ بعض قلقها.

ستتمكن كارلا من حجز تذكرة ذهاب وإياب لها من حسابها في لندن.

تمسكت بالأمل وسارت إلى هاتف عام حيث طلبت من الموظف أن يصلها بشقة «بيزووتر» وبعد ثوان أخذ الهاتف يرن... يرن... وقيل لها إن لا جواب.

طبعاً، لقد نسيت فرق التوقيت. لا بد أن كارلا في العمل الآن...

ـ أرجوك أن تجرب لي رقماً آخر.

وناولت الموظف رقم متجر كارلا.

ـ وهنا أيضاً لا أحد يجيب.

ـ أرجوك أن تنتظر قليلاً. لا بد أن يجيب أحد.

وأخيراً أجابت ماغي. فسألتها شارلوت: «هل يمكنني أن أتحدث إلى كارلا»؟

ـ إنها ليست هنا.

ـ متى تعود؟

ـ بعد العيد. لقد ذهبت إلى اسكوتلندا.

طبعاً، كل ما حدث لشارلوت جعلها تنسى: «هل يمكنك أن تخبريني أين هي في اسكوتلندا بالضبط؟».

ـ أعتقد أن والداها يعيشان في داندي.

ـ هل لديك عنوان لها أو رقم هاتف؟.

ـ لا، مع الأسف.

ـ ومتى ستعود كارلا؟

ـ في السابع والعشرين من هذا الشهر. اسمعي علي أن أذهب فأنا وحدي والمتجر ممتلىء.

وبيأس مؤلم، عادت شارلوت إلى مكانها.



www.elromancia.com

ـ أتريدين مزيداً من القهوة؟

كان بيني واقفاً عند مرفقها وبيده إبريق زجاجي. كادت تجيب نعم، لكنها تذكرت الدولارات القليلة المتبقية لديها، فهزت رأسها نفياً. قال وهو يرى وجهها الشاحب: «هيا، أيتها السيدة. يبدو أنك بحاجة إلى ذلك. هذا الفنجان على حساب المطعم».

ـ شكراً.

وقبلت أن يعيد ملء كوبها ثم أخذت ترشف القهوة وهي تفكر في مشكلتها؛ ليس لديها نقود، وهي لا تعرف إلى أين تذهب، كما أن عيد الميلاد سيحلّ بعد يومين.

ثم، خطر ببالها فجأة ريتشارد شيرلاند. ألم يقل لها: «إذا كنت بحاجة إلى مساعدة من أي نوع... فقط أخبريني!».

مع أنه ابن خال دانييل، لكنه يبدو مستقل الشخصية. ورغم أنه أدرك أن دانييل لم يكن مسروراً من اهتمامه بها، إلا أن ذلك لم يمنعه من عرض ذلك عليها.

كان المقهى قد امتلأ دون أن تنتبه إليه أثناء تفكيرها، فوقفت وحملت حقيبة ثيابها واتجهت إلى الباب.

سارت وهي ترتجف. لكن سيرها دون هدف لن يفيدها، كما حدثت نفسها. عليها أن تفعل شيئاً. وريتشارد شيرلاند هو أملها الوحيد، عليها أن تتمسك به. إنه يبدو رجلاً شريفاً، وإذا توسلت إليه أن لا يخبر دانييل عنها...

بحساب سريع لما تملكه اطمأنت إلى أنها تستطيع دفع أجرة سيارة تقلها إلى هناك. وساعدها الحظ وهي ترى سيارة أجرة قادمة فرفعت يدها توقفها. صعدت وقالت لاهثة: «مبنى لويد وولف» في «سنترال بارك إيست» من فضلك».

ثم جلست وساقاها ترتجفان. لقد فعلتها، سواء كانت النتيجة خيراً



أم شراً.

أنزلتها السيارة خارج المبنى فدخلت إلى ردهة رخامية فخمة. وكان مكتب الاستعلامات عصرياً أنيق الأثاث. سألتها موظفة الاستعلامات السمراء الصغيرة: «أية خدمة؟».

ـ هل يمكنني التحدث إلى السيد ريتشارد شيرلاند، من فضلك؟.

وعندما رأت أن الساعة تشير إلى الثامنة والثلث أضافت: «هذا إذا كان موجوداً».

ـ اسمك من فضلك لأسأل سكرتيرته.

ـ اسمي شارلوت ميشيل.

وجلست وحقيبتها بجانبها. ثم سمعت صوت موظفة الاستقبال: «هنا الآنسة شارلوت ميشيل تود التحدث إلى السيد شيرلاند»

أثناء الصمت الذي تلا، أخذت شارلوت تفكر بما ستفعله إذا لم يكن ريتشارد موجوداً، فربما أخذ عطلة العيد باكراً هو أيضاً...

كانت تحاول نبذ هذه الأفكار المقلقة عندما قالت لها الموظفة: «السيد شيرلاند سيكون هنا بعد لحظة».

ـ شكراً.

كانت ما تزال تبتسم بارتياح عندما رأت شابة شقراء صغيرة الجسم تدخل من الباب الرئيسي وتعبر الردهة حانية الرأس. شعرت شارلوت أن فيها شيئاً مألوفاً ما جعلها تحدّق فيها بحدة. وعندما اقتربت هذه منها رفعت رأسها فتلاقت أعينهما. تملكتها الصدمة وهي ترى في الفتاة خطيبة أخيها السابقة... جانيس. بدت الصدمة كذلك على جانيس فتعثرت في سيرها لحظة، ما لبثت بعدها أن سمّرت نظراتها أمامها ثم أسرعت تتابع طريقها.

عندما عادت شارلوت إلى العمل بعد موت تيم وجدت أن جانيس قدمت استقالتها وتركت عملها والشقة الصغيرة التي كانت تعيش فيها

سعيدة مع تيم.

ولكن، ما الذي تفعله الفتاة هنا؟

وصلت جانيس إلى المصعد في الوقت الذي انفتح فيه بابه وخرج منه ريتشارد، فتبادلا التحية عند مرورهما. وإذ رأى شارلوت أسرع إليها: «ما أجمل أن أراك يا آنسة ميشيل مرة أخرى. أنت مبكرة كالعصافير».

فقالت شاردة الذهن: «كنت أتساءل عما إذا كنت هنا».

ـ كنت بحاجة إلى بعض الحقائق والأرقام للاجتماع هذا الصباح لذا جئت في السادسة والنصف. العمل أفضل بكثير في الجوّ الهادىء.

ـ الفتاة الشقراء التي حدثتها لتوّك... أظنني أعرفها.

ـ ربما تعرفينها. قبل أن تعمل الآنسة جيفري هنا كانت تعمل في فرعنا في لندن. فهمت أن دانييل استقدمها إلى نيويورك.

أطبقت شارلوت أسنانها... لم يكتفِ دانييل بإغراء الفتاة بل أحضرها إلى هنا ليتابع علاقته بها. وهذا يعني أنه كذب عليها عندما سألته عما إذا كان لديه صديقة حالياً وأجاب بالنفي.

شعرت بانقباض بالغ في صدرها وأدركت أنها على صواب في هربها منه. وفجأة سألها ريتشارد وقد لاحظ حقيبتها: «هل تركت «منزل الزنابق»؟».

ـ نعم.

فعبس: «لا أظن أن الشقة صالحة للسكن. دانييل قال إنك لن تنتقلي إليها إلا بعد العيد، والشقة مليئة الآن بالعمال والسلالم».

ـ قال لي ذلك، لكنني...

وترددت لتكبح سيلاً غادراً من المشاعر.

ـ هل من سوء؟.

ـ نعم مع الأسف. أنا بحاجة ماسة إلى عونك.

ـ هل الوظيفة هي سبب مشكلتك؟.



فهزت رأسها: «إنه أمر شخصي».

وبالرغم منها، اغرورقت عيناها بالدموع.

نظر ريتشارد حوله إلى الردهة التي ابتدأت تحتشد بالموظفين القادمين، ثم قال: «لا يمكننا البقاء هنا. وبعد فترة قصيرة سيصبح مكتبي كخلية النحل... هل تناولت فطورك؟».

ـ لا.

ـ عظيم، ولا أنا. امنحيني دقيقة أتكلم فيها مع سكرتيرتي ثم نذهب إلى حيث نأكل ونتكلم.

وسرعان ما عاد، فوضع حقيبتها خلف مكتب الموظفة، ثم أخذها معه إلى مقهى قريب هادىء دافىء جميل الديكور.

اختار طاولة صغيرة نائية ثم طلب فطوراً مع القهوة، ولم يتكلم قبل وصول الطعام.

ثم قال بهدوء: «هل الأمر يتعلق بدانييل؟».

ترددت متسائلة إلى أي حد يمكنها أن تخبره، ثم قالت: «لأسباب لا أريد الخوض فيها، اضطررت إلى مغادرة «منزل الزنابق»».

ـ ماذا فعل؟ تطفّل عليك؟ إنسي ذلك. ما كان ينبغي أن أسأل. أخبريني فقط ماذا تريدين أن تفعلي؟.

ـ أذهب إلى الوطن.

فسألها مذهولاً: «تعودين إلى انكلترا؟».

ـ نعم.

ـ هل الأمر سيء إلى ذلك الحد؟

رأت الغضب في عينيه فقالت تطمئنه بسرعة: «ليس الأمر كما تظن، صدقني، رغم أنني أريد أن أسافر إلى إنكلترا في أسرع وقت ممكن».

ـ أخشى أن لا تجدي مقعداً خالياً في طائرة في فترة الأعياد.

- هذا ما أخشاه.

- كيف يمكنني أن أساعدك إذن؟

- إلى أن تعود زميلتي في الشقة هناك من عطلتها، وأتمكن من شراء تذكرة سفر، أريد مكاناً أقيم فيه.

- حسناً، هناك فنادق كثيرة في نيويورك.

فقالت بفتور: «ليس لدي حساب في البنك ولا أملك نقوداً».

بدت عليه الحيرة: «ولماذا لا تطلبين قرضاً من دانييل؟».

- لا أستطيع أن أطلب منه.

- ربما لديه أخطاؤه، لكنني لا أظنه...

- خرجت هذا الصباح قبل أن يستيقظ من النوم...

قطب ريتشارد جبينه: «أتعنين أنه لا يدري برحيلك؟».

- لا بد أنه عرف الآن.

- حسناً، إذا كنت لا تريدين التعامل مع دانييل مباشرة، ستحول إليك الشركة مقدماً أي مبلغ تريدينه، وعندما تعودين إلى العمل بعد عيد الميلاد...

- لن أعود إلى العمل مرة أخرى... على الأقل ليس إلى شركة «وولف العالمية».

- إذن، سأجعله قرضاً شخصياً.

فقالت: «شكراً. هذه شهامة بالغة منك، ولكن حيث أنني سأضطر إلى استدانة القليل من المال، فأنا لن أستطيع الإقامة في فندق... من المؤكد أن هناك خياراً أرخص».

- عدا عن نُزُل الأحداث أو المراكز المخصصة للطلبة، ليس من السهل أن تجدي أماكن رخيصة للإقامة في نيويورك. هناك منازل خاصة تقدم سريراً للنوم وفطوراً، لكنني لا أظن من السهل العثور على واحد منها في هذا الوقت من السنة.



عندما سمع آهتها اليائسة قال: «إذا كان الأمر ضرورياً يمكنني أن أخلي شقة الشركة من العمال».

خوفاً من أن يبحث دانييل عنها هناك، قالت: «لا يمكنني الإقامة فيها».

- يمكنك أن تأتي معي إلى بيتي.

وعندما ابتدأت تهز رأسها نفياً قال بسرعة: «لا بأس في ذلك فأنا أسكن مع أسرتي حالياً لأنني أجدد شقتي. لسوء الحظ، على أن أسافر إلى فلوريدا هذا الصباح بعد انتهاء الاجتماع، لكنني واثق أن أبويّ سيسرهما...».

- شكراً، لكنني لا أحب أن أورّطك أو أورّط والديك إلى هذا الحد...

وإذا به يهتف مبتهجاً: «وجدتها! إنها ليست ما اعتدت عليه... فهي كئيبة جداً كما أظن... لكنك ستجدين سقفاً فوق رأسك وسريراً نظيفاً تنامين عليه».

- هذا كل ما أحتاجه.

- هل أنت واثقة؟

- واثقة تماماً.

- ابقي هنا إذن واكملي فطورك ريثما أتحدث إلى مارتن وأرى إن كان بالإمكان ترتيب الأمر.

عاد بعد عشر دقائق: «إذا كنت مستعدة للذهاب فأنا جاهز».

نهضت واقفة فأسرع بها إلى الباب وهو يقول معتذراً: «آسف لاستعجالك، لكن موقف سيارتي غير قانوني وقد سبق وقمت بمخالفة هذا الشهر».

وفتح باب سيارة صالون زرقاء نصفها متوقف على الرصيف قائلاً: «أقفزي إلى الداخل وحالما ننطلق سأحدثك بكل شيء».

أطاعته، وفي لحظة كانا في زحمة السير، فابتدأ يقول: «مارتن شاوكروس الذي يدير مكتبنا العام ترك لنوه شقته المؤلفة من حجرة واحدة مؤثثة في شارع «لاوار إيست سايد» ليسكن مع صديقته في شقة في مبنى حديث. ولأن إيجار الشقة القديمة مدفوع إلى آخر الشهر الجاري، وما زال لديه فيها بعض الأثاث، فقد احتفظ بالمفاتيح. وعندما شرحت له أنك بحاجة إلى مكان تقيمين به حتى تعودي إلى الوطن، قال إنه يسعده أن تقيمي فيها مجاناً إلى ما بعد العطلة. لقد أعطاني المفاتيح وهكذا رأيت أن آخذك مباشرة إلى هناك».

- ولكن أليس لديك اجتماع هذا الصباح؟

- بلى، إنه في الحادية عشرة، وهكذا لدينا وقت نلقي فيه نظرة على المكان.

فهتفت: «هذا رائع».

- ربما تغيرين رأيك عندما ترين الشقة. كان مارتن مسروراً جداً بتركها.

الشارع المكسو بالثلج الذي توقف ريتشارد فيه أخيراً، تقوم على ناحيتيه مبانٍ من الحجر الرملي الأصفر. ورغم الريح القارسة، فإن ومضات من شمس الشتاء جعلت المشهد ساراً للغاية.

لم يكن المنزل يختلف عن غيره إلا في أطر الأبواب والنوافذ التي تحتاج إلى طلاء. فقال ريتشارد بحذر: «حسناً، يبدو المبنى بحالة جيدة، لكن شقة مارتن في الطابق الأعلى. برأيي، من الأفضل أن أدع حقيبتك في صندوق السيارة حتى تشاهدي الشقة».

لأنها كانت تعلم بأن لديه اجتماعاً، قالت: «لا بأس، أنا أعلم أن الشقة ستعجبني».

لم يقتنع بكلامها، لكنه أخرج حقيبتها من السيارة ثم فتح الباب على مدخل معتم، حيث بالكاد يمكن رؤية السلم الذي يصعد لينتهي في



عتمة كثيبة.

طلاء الجدران الأخضر الداكن كان يتساقط من الجدران القذرة، كما كان ثمة هاتف قد سقط من مكانه وتدلّى بإهمال. فيما الهواء البارد المحبوس ينشر رائحة طعام فاسد.

عاد ريتشارد إلى الباب يقول: «لا أظن حقاً أن هذا...»

فأمسكت بذراعه: «أرجوك. وصلنا إلى هذا الحد، دعني على الأقل ألقي نظرة».

نقل ريتشارد حقيبتها وهو يزمّ أنفه اشمئزازاً صاعداً خمسة سلالم حتى وصلا إلى فسحة سلّم الطابق الأخير، حيث تجمعت كومة من الصحف القديمة وصناديق الكرتون بجانب الجدران، وخلف باب بني اللون سمعا صوت الموسيقى منبعثة من راديو.

فتح أحد الأبواب وأشار إليها بالدخول، ثم وضع الحقيبة إلى جانب صندوقين مربوطين جاهزين للنقل. وعندما وقفا ينظران في أنحاء الغرفة القذرة لفحهما هواء عفن قارس البرودة.

كان الأثاث متباعداً وهو عبارة عن خزانة ثياب وصندوق أدراج ومنضدة وكرسيين خشبيين ومقعد بذراعين هابط القعر وأريكة تُستعمل سريراً. كان في الغرفة أيضاً مدفأة غاز صغيرة موضوعة داخل مدفأة من القرميد، وعلى رف كتب وضع تلفزيون متنقل. في الجهة الأخرى، كان هناك مطبخ صغير وباب يؤدي إلى حمام ضيق فيه نافذة قذرة تطل على الفناء الخلفي.

بدا إطار النافذة مهترئاً غير محكم بحيث يتسرب منه تيار هوائي، وجهاز التدفئة معطل، وبقع العفن متناثرة على السقف. كما كان ورق الجدران مقشراً في أماكن عديدة.

قال ريتشارد بفتور: «لن أكون سعيداً إذا تركتك هنا أثناء العيد، في هذا البرد القارس. إسمعي، دعيني آخذك إلى فندق وسأحرص على أن

تدفع الشركة الفاتورة. هذا أقل ما علينا عمله بعد أن أحضرناك إلى الولايات المتحدة».

لكنها هي التي رغبت في المجيء. فإذا كان دانييل غاضباً منها ورفض أن يدع الشركة تدفع فاتورة الحساب، سيكون عليها هي أن تدفعها...

فقالت بحزم: «صدقني أن لا ضرورة لذلك. لا بأس بهذا المكان. رغم أنه ليس بيتاً كما ينبغي، على الأقل ستكون لديّ غرفة خاصة بي...»

عندما أخذ يهز رأسه قالت له ساخرة: «إنها أفضل من الذهاب إلى ملجأ المتشردين».

فقال متذمراً وهو يضع المفاتيح على الطاولة: «أنت امرأة عنيدة».

ـ بل أنا امرأة شاكرة.

ثم أخرج محفظة نقوده: «إذا كنت مصممة على البقاء هنا فأنت بحاجة إلى بعض المال للإنفاق».

وإذ شعر بخجلها لاضطرارها إلى الاستدانة، وضع حزمة من الأوراق المالية بجانب المفاتيح دون أن ينظر إليها، فقالت بهدوء: «شكراً. سأحرص على إعادتها إليك».

ـ أواثقة أنت تماماً من رغبتك في الإقامة هنا؟

ـ واثقة تماماً.

ـ سأرى إذن إن كان بإمكاني أن أبعث بعض الدفء قبل أن أذهب.

ـ أرجوك أن لا تتأخر عن اجتماعك.

قالت هذا وهي تراه يبحث عن عداد الغاز. وعندما وجده في خزانة مظلمة وضع بعض القطع النقدية المعدنية في الشق المخصّص لها ثم تناول مُشعل النار الموضوع على المدفأة وبعد عدة محاولات هبت النار. فقال



ينذرها: «هذه المدفأة تحرق النقود. احرصي على أن يكون لديك دوماً نقود معدنية لتبقى مشتعلة باستمرار».

ـ شكراً. سأنتبه لهذا.

عندما تردّد، لا يريد أن يتركها، قالت: «حسناً، لقد أخذت الكثير من وقتك».

فقال بابتسامة صبيانية: «لا مانع لديّ في ذلك. يمكنك أن تبقيني هنا قدر ما تحبين من الوقت».

حاولت مرة أخرى: «ألن يتساءل السيد شاوكروس إلى أين ذهبت؟».

ـ مارتن لديه شيء آخر في ذهنه. بعد الغداء سيكون مع صديقته في طريقهما إلى الشمال حيث يمضيان عدة أيام مع أبويه اللذين يملكان فندقاً في «مارشيز».

ثم نظر إلى ساعته وقال آسفاً: «لكن من الأفضل أن أذهب».

ـ هل سيكون دانييل في الاجتماع؟

ـ قال إنه سيكون هناك.

فأسرعت تتوسل إليه: «أنت لن تخبره بأنك رأيتني، أليس كذلك؟».

ـ لن أفعل إذا كنت لا تريدين ذلك.

ـ لا أريد.

عندما رأت وجهه الأشقر يظلم، قالت: «لا تلم ابن عمتك أرجوك. الأمر كله هو ذنبي أنا، والآن أريد فقط أن أعود إلى إنكلترا وأنسى أنني كنت يوماً في نيويورك».

فقال باتّزان: «آسف لانتهاء الأمر بهذا الشكل. بل ليت الأمور كانت مختلفة».

وكذلك تمنت هي.



www.elromancia.com

ـ أشكرك لكل ما تكبّدته لأجلي، وأرجوك أن تشكر السيد شاوكروس أيضاً عني.

ـ طبعاً.

ـ سأضع لك المفاتيح في مكتب الاستعلامات حالما أرتب أمر سفري.

ومدت له يدها وعيناها تلمعان بعرفان الجميل: «أشكرك مرة أخرى لشهامتك، وأتمنى لو أن باستطاعتي أن أرد لك جميلك».

فابتسم: «إذا لم تسافري قبل عودتي، ربما يمكنك أن تكوني حرة دون ارتباطات للذهاب معي إلى العشاء».

وجاهدت لكي تقول بحماسة: «سيسعدني ذلك».

وقف عند الباب: «آه، كدت أنسى أن أخبرك. قال مارتن إن هناك كثيراً من الملاءات والأغطية والمناشف في أعلى الخزانة».

وبعد لحظة كان قد ذهب. وقفت شارلوت تستمع إلى وقع خطواته وهو يهبط السلالم، شاعرة باليأس والوحدة.

حتى مع اشتعال المدفأة شعرت ببرد يمنعها من خلع ملابس الخروج. وجلست تفكر طويلاً في «منزل الزنابق»...

كان صاحبه الأسمر الوسيم يملأ خيالها... العينان الرماديتان الصافيتان، ذقنه المشقوقة، شكل فمه... إنها لن ترى ذلك الوجه مرة أخرى أبداً، إلا في الصحف. وإذا بالعذاب يملأ كيانها فتتسمّر مكانها كإنسان جريح حتى الموت. عندما خفّت تعاستها قليلاً، حدثت نفسها باتّزان أن ليس بإمكانها الاستمرار بهذا الشكل. يجب أن تنبذه من ذهنها بحزم، وتنبذ الماضي ثم تتابع حياتها من جديد. لكن المستقبل بدا لها كئيباً مظلماً، ولم ترَ فيه أملاً في السعادة.

حاولت أن تعزي نفسها بأنها ستعود إلى إنكلترا عندما ينتهي عيد الميلاد وهناك ستبدو لها الأمور أكثر تألقاً.



كل ما عليها أن تفعل، هو أن تتجاوز الأيام القليلة القادمة بأي شكل.

ولكي تمنع شعور الوحشة والفراق من أن يتملكها، ركزت أفكارها على الأمور العملية. لا فائدة من الوقوف هنا وهي ترتجف. ما دام الوقت ما زال نهاراً، قد تشعر في الخارج بمزيد من الدفء طالما بقيت تتحرك. وعلى كل حال، إنها بحاجة إلى شيء من التموين، وإذا لم تشأ أن تموت برداً أثناء الليل عليها أن تحصل على كثير من النقود المعدنية من أجل مدفأة الغاز.

وضعت المفاتيح في حقيبة يدها، وتركت النار مشتعلة في المدفأة، ثم خرجت مغلقة الباب خلفها.

كان الوقت غروباً عندما عادت حاملة كيساً ورقياً مليئاً بالتموين. كانت مرهقة للغاية، وهي تصعد الطوابق الخمسة على سلالم شبه مظلمة وتدخل الغرفة الباردة كالثلج، إذ أن المدفأة كانت مطفأة. بأصابع متجمدة برداً، أخذت تتلمس نقودها المعدنية لتضع قبضة منها في الشق المخصص لها، قبل أن تشعل المدفأة من جديد.

حدثها المنطق بأن عليها أن تأكل شيئاً بعد أن فاتها الغداء. لكنها لم تشعر بالقوة ولا بالشهية للقيام بذلك. فبعد أن بقيت تسير طوال بعد الظهر، مليئة الذهن بالذكريات والندم والتفكير في دانييل، تملكها إرهاق بالغ، نفساني بقدر ما هو جسدي.

تحركت كامرأة عجوز فأعدّت لنفسها كوب شاي وشربته أمام المدفأة. لم تر كتباً في الغرفة، ولحاجتها إلى صرف ذهنها عن ذكريات الأيام الماضية الحلوة المرة، أدارت جهاز التلفزيون، لكنها بعد أن حدقت فترة في عرض ألعاب تافه، عادت فأقفلته.

وأخيراً، لا بد أنها غفت لأنها عندما استيقظت وجدت جسمها متصلباً، كما أن ظهرها وكتفيها متجمدان من البرد. قررت أن أدفأ

مكان هو الفراش، فأحضرت ملاءات ومنشفة وما يلزم الفراش ثم سوّت الأريكة. وبعد ذلك أخرجت من حقيبتها ملابس النوم ولوازم الحمّام. لكن مفتاح سخّان الماء كان معطلاً. وبعد عدّة محاولات دون جدوى، اكتفت بأن تغسل يديها ووجهها وأسنانها بماء بارد آلم ببرودته أسنانها.

خلعت ثيابها أمام المدفأة وهي ترتجف، ثم أطفأت النور وانسلت بين الأغطية بردائها المنزلي.

كانت قدماها باردتين كالثلج فاستلقت تستمع إلى أزيز نيران المدفأة بينما الهواء يصفر من خلال فجوات إطار النافذة، والوحشة تغلفها كالفراشة في الشرنقة. ثم سمعت من إحدى الشقق المجاورة، أغاني عيد الميلاد فذكرها هذا بأن غداً هي الليلة السابقة للعيد.

لو أن الأمور سارت على غير ما هي عليه الآن لكانت في طريقها إلى «كاتسكيل» مع دانييل...

وانهمرت دموعها. وتدفق الطوفان فاستمر بكاؤها فترة طويلة. وكان الليل قد انتهى تقريباً عندما نامت بشكل متقطع غير مريح لتعدد الأحلام التعيسة فيه.

عندما فتحت عينيها، بقيت لحظات مشتتة الذهن قبل أن ترسم لها ذاكرتها صورة كئيبة عن خسارتها وقضائها للعيد وحدها.

ثم، وكأن ليلتها الماضية أخرجت ما في أعماقها، عادت روح المقاومة الطبيعية فيها فشعرت بالقوة من جديد. إنها لن تدع مجالاً للإشفاق على النفس، كما حدثت نفسها بعنف. إنها تنام تحت سقف على الأقل، كما أن لديها أصدقاء، ولا زال وضعها أفضل بكثير من وضع بعض الناس.

حبها لدانييل هو ضلال وجنون وسينتهي يوماً ما. حتى لو لم يكن الرجل زير نساء حقير، ومسؤولاً عن موت تيم، لم يكن الزواج بينهما



سينجح، فالفرق بينهما بقدر التباعد بين القطبين، ودوماً سيكون كذلك.

لقد ترك في حياتها في الماضي تأثيراً سيئاً للغاية، لكنها لن تدع هذا الشوق له يحطم مستقبلها.

أنبأتها ساعتها بأن الوقت تجاوز الظهيرة. وفي محاولتها لصرف التفكير في دانييل من ذهنها تركت سريرها الدافىء نسبياً، وأخذت ولاعة المدفأة وسارت إلى الحمام وبعد كفاح قصير استطاعت أن تشعل جهاز تسخين الماء، وبعد ذلك ذهبت لتعد الشاي.

كان الجوّ في الحمام بارداً رغم البخار المتزايد، وفي اللحظة التي أقفلت فيها الصنبور أخذت ترتجف.

لفت رأسها بالمنشفة ثم أسرعت إلى غرفتها لكي تجفف نفسها أمام نار المدفأة.

لقد عاد الثلج يهطل، وكانت الريح تصفع زجاج النافذة، كما أخذ الهواء القارس يتسرب من خلال إطار النافذة المخلخل.

قررت أن تلجأ إلى أحد المتاجر الكبرى إذا أصبح الجوّ عاصفاً. وربما تدلّل نفسها بتناول غداء متأخر حيث إنها الليلة السابقة للعيد.

ليلة العيد...!

لا بد أن دانييل في طريقه إلى كاتسكيل الآن، وربما أخذ معه جانيس...

شاعرة بالغثيان وبالوحشة في قلبها، ارتدت ملابسها الداخلية، وكانت على وشك أن تجفف شعرها حين قُرع الباب.

عدم توقعها ذلك جعلها تقفز.

تسارعت خفقات قلبها فجأة، وتساءلت عمن عساه يكون الطارق. الوحيد الذي يعرفها هنا هو ريتشارد وهو الآن في فلوريدا...

عدا عن مارتن شاوكروس طبعاً! ربما جاء ليأخذ بعض حاجياته الباقية، أو ليطمئن إلى حالها.

تأوهت لحماقتها، وارتدت معطفها المنزلي وأحكمت شد الحزام عليه، ثم سارت إلى الباب تفتحه.

***



## ٧ ـ خياران من نار

كانت قد فتحت الباب عندما تذكرت أن ريتشارد أخبرها أن مارتن شاوكروس سيرحل إلى الشمال. ومع ذلك كان الرجل الواقف بالباب هو آخر شخص توقعت أن يكون. وقفت لحظة تحدق فيه فاغرة فاها بتبلد. دانييل... دانييل هنا.

بدلاً من أن يأخذ جانيس إلى كاتسكيل، جاء ليبحث عنها هي الهاربة منه.

شعرت بنفسها تطير على أجنحة السعادة، ثم هبط بها الواقع فجأة إلى الأرض فارتطمت بشدة. تملكها نوع من الغضب اليائس عندما أدركت أن وجوده هنا لا يغير من الواقع شيئاً.

إنه لا يغيّر حقيقة أنها، بحبها له، قد خانت أخاها؛ لا يغير حقيقة أنه ما زال على علاقة بجانيس؛ أو يعني أنه يهتم بها مثقال ذرة.

حاولت أن تغلق الباب في وجهه ولكن بعد فوات الأوان، ذلك أنه، وقد توقع هذا، وضع قدمه في الطريق. وبعد لحظة وجدته يدفعها إلى الداخل ثم يغلق الباب خلفهما.

بفم حازم وعينين صلبتين، استند إلى الجدار وشبك ذراعيه على صدره، كانت رقائق الثلج متناثرة على ياقة معطفه، وتذوب على شعره الأسود.

سألته وقلبها يخفق عالياً: «ماذا تريد ولماذا جئت؟».



www.elromancia.com

ـ ما الذي تظنينه سبب ذلك؟

ملاحمه الكئيبة ككلماته أوضحت بأنه غاضب لهربها منه.

ـ كيف عرفت مكاني؟

ـ وهل هذا مهم؟

ثم تابع وهو يلوي شفتيه: «إذا كنت تلومين ريتشارد لفضحه أمرك فأنت مخطئة، فهو لم يقل كلمة عن رؤيته لك. ولو أنه فعل لما تأخرت حتى الآن في الحضور إليك».

ـ أنا طلبت منه أن لا يخبرك.

ـ هذا ما تظنينه.

رفعت رأسها وقالت: «هل اقتفيت أثري إلى هنا، لتطلب اعتذاراً؟».

عندما تلاقت أعينهما أدركت وقلبها يهبط أنه غاضب للغاية، لكن صوته بدا هادئاً وهو يقول: «الاعتذار ليس سيئاً، لكنني أريد أكثر من ذلك بكثير».

ـ أن أعيد إليك النقود التي أنفقتها عليّ؟.

ـ عليك أن تكفّي عن هذه الوقاحة إلا إذا كنت تريدينني أن أضعك على ركبتيّ وأضربك.

عندما تراجعت خوفاً من هذا التهديد الناعم انزلقت المنشفة الملتفة على رأسها حتى أذنها.

بدت في عينيه ومضة باهتة من الهزل. فجذبت المنشفة وهزت شعرها الذي ما زال مبتلاً فانسدل على كتفيها، ثم واجهته بما استطاعته من كرامة: «آسفة، ما كان لي أن أقول ذلك».

ـ لا، ما كان لك أن تقوليه.

جذبت نفساً عميقاً ثم قالت بلهجة رسمية: «كنت بالغ الشهامة معي، وأرجو أن تسامحني لرحيلي الفجائي هذا».



فقال بسخرية: «براڤو!».

ـ حسناً، ماذا تريد أكثر من ذلك؟.

سألته ذلك وهي تخفي خوفها وراء ستار من الشجاعة.

ـ كما قلت لتوّي، أريد أكثر من ذلك بكثير، بما في ذلك الأجوبة على كثير من الأسئلة، مثل لماذا هربت دون كلمة وما الذي جعلك تقررين العودة إلى إنكلترا؟.

إذن، فهو يعلم ذلك.

ـ لكنها يمكن أن تنتظر إلى وقت آخر، لأنني حالياً أريد أن ننتقل من هنا، فالأرصاد الجوية تقول بأن هناك عاصفة ثلجية قادمة، وطريقنا طويلة.

وعندما حدقت إليه، ذكّرها باختصار: «ألا تتذكرين أنك وعدتني بالذهاب معي إلى كاتسكيل؟».

شعرت على الفور، رغم كل شيء، بالإغراء يتملكها بعنف. ودفعها الحب إلى إقناع نفسها بأن لا بأس بأن تمضي بعض الوقت معه، فترى وجهه وتسمع صوته لمجرد الصحبة فقط دون شيء آخر. هذا إذا استطاعت أن تتحكم في مشاعرها...

ولكن سرعان ما أنذرها التعقل بأنها لن تستطيع ذلك.

هزّت رأسها وقالت بصلابة: «لقد غيرت رأيي».

فرفع حاجبيه: «أحقاً؟».

ـ لا أريد أن أمضي العيد معك هناك أو في أي مكان آخر.

فقال عالماً بأنه يقدم على أكبر مغامرة في حياته: «رغم عدم التهذيب في ما سأقوله، لن تسير الأمور إلا وفق ما أريده أنا... فالأفضل أن ترتدي ملابسك... إلا إذا أردتني إن ألبسك إياها بنفسي».

فتسارعت أنفاسها: «لا، لا أريد أبداً هذا!».

ـ سأمنحك إذن خمس دقائق تجففين فيها شعرك وترتدين ملابسك.

فهزت رأسها بعناد: «لا أريد أن أرتدي ثيابي. أنا لن أذهب إلى أي مكان».

فهز كتفيه: «حسناً».

ظنت أنها انتصرت حتى رأته ينتصب واقفاً ثم يسير نحوها. شعرت بالخوف وراحت تقول بعجز وحيرة وهي تتراجع حتى صدمتها الكرسي: «دعني وشأني. قلت لك إنني لن أذهب إلى أي مكان».

تجاهل احتجاجها واقترب منها أكثر. فقالت ساخطة شاعرة بالاختناق وهي تحاول أن تصدّه عنها: «لا أريدك أن تلبسني ثيابي».

ـ كنت أفكر بأمر آخر.

حاولت أن تقاوم، لكنه أمسك بها بسهولة وأخذ يعانقها حتى استرخت ولم تعد ساقاها تحملانها. ثم سألها متهكماً: «أما زلت ترفضين ارتداء ملابسك؟».

فهمست وهي ترتجف من أعماقها: «لا أريد أن أمضي العيد معك. لا أريد أية صلة بك، أنت قاس وحيوان وشيطان. وأنا قريباً...»

فقال وهو يضع إصبعاً على شفتيها ليسكتها: «يمكنك أن تدعيني بكل الأسماء التي تعجبك فيما بعد لكن الآن هو وقت القرار».

ردت رأسها إلى الخلف وحوّلت بصرها وهي ترتجف. فقال: «ما هو قرارك إذن؟ العيد في كاتسكيل أم ماذا؟».

عندما ترددت متسائلة عما إذا كان يخدعها، وأخذت تفكر في طريقة تتخلص بها منه، قال: «أتريدين الحقيقة؟ أعجبتني فكرة البقاء هنا معاً...».

وعندما دارت حول الكرسي وابتعدت، أضاف: «سأوفر على نفسي رحلة طويلة بالسيارة، كما أنني بمنتهى الشوق لمعانقتك مرة أخرى».

صدمتها حافة الأريكة خلف ركبتيها فانهارت جالسة عليها. فجأة، سحب دانييل هاتفه من جيبه: «المشكلة هي أنني لا أملك شيئاً هنا حتى



فرشاة أسنان ولهذا عليّ أن أتصل بالسيدة مورغان مديرة منزلي و...»

فصرخت شارلوت: «إنتظر. إذا أنا وعدتك بالذهاب معك، هل تعدني بأن لا تلمسني؟».

ـ لا، بل أعدك بأن لا أحاول أن أرغمك على أي شيء.

بعد أن أدركت كل المجازفات التي ستصادفها، رأت أن هذا الخيار هو الأفضل، فقالت: «حسناً جداً. سآتي معك».

ـ حسناً، الأفضل أن تنشفي شعرك أولاً. هل لديك منشفة أخرى؟

ـ في أعلى الخزانة.

وحاولت أن تنهض فقال: «إبقي هنا وسأحضرها».

وعاد بعد لحظات بمنشفة خضراء. حبست شارلوت أنفاسها وجلست جامدة بينما أخذ ينشف شعرها. وعندما انتهى سألها: «الفرشاة؟».

ـ في الحمام.

أحضر الفرشاة وأخذ يمشطها، وعندما انتهى قالت بصوت غير ثابت: «شكراً».

فقال ساخراً: «بكل سرور».

وعندما أخذت تكورشعرها فوق رأسها منعها: «دعيه منسدلاً، هذا يعجبني أكثر».

منعتها المشاعر الفياضة من الجدل، ثم أخذت ترتدي بقية ملابسها وهي ترتجف توتراً. وبعد ذلك راحت تجمع أغراضها.

حمل دانييل حقيبة ملابسها وأخذ مفاتيح الشقة، ثم أطفأ المدفأة وسار أمامها إلى الباب وهو يسألها:

ـ ماذا ستفعلين بالمفاتيح؟.

ـ كنت سأتركها في مكتب الاستعلامات في الشركة.

فوضعها في جيبه: «في هذه الحالة سأعيدها إلى مارتن شاوكروس

عندما أراه».

وفي الخارج، كانت الثلوج تغطي كل شيء. توقعت شارلوت أن ترى سيارة الليموزين وسائقها بيركنز بانتظارهما، لكن بدلاً من ذلك رأت سيارة داكنة الزرقة ذات قوة دفع رباعية ماركة «ترافيلير». قال دانييل: «هذه سيارتي المختصة بالجوّ السيء».

ألقى بحقيبتها على المقعد الخلفي وجلس بجانبها وراء المقود، ثم انطلقا بالسيارة ورقائق الثلج تتناثر على زجاج نوافذها.

ساد الصمت فترة كان فيها دانييل مركزاً انتباهه على الطريق بينما استغرقت هي في أفكارها ومشاعرها.

شعرت بالضيق والخوف والاضطراب وعدم الثقة. لماذا أرغمها على تنفيذ برنامجهما؟ هل ذلك مجرد تنفيذ لإرادته؟ أم أنه يريد أن يعاقبها لتصرفها نحوه؟.

رأت أن التفسير الأخير هو الأغلب. فقد لمست فيه غضباً يحترق ببطء، وهو غضب يريد أن يجد له متنفساً. لكن عقابه لن يكون جسدياً، فقد شعرت بالثقة لهذا. ذلك أن دانييل ليس جلفاً ولا قاسياً. كان رقيقاً لطيفاً ولديه عقل منظم يجمدها خوفاً.

بماذا سترد عليه عندما يطلب أجوبة لأسئلته؟. ليس الحقيقة بكل تأكيد. لأنه إذا اكتشف حقيقة مشاعرها نحوه، فسيأخذها معه إلى السرير حتماً، ليلقيها بعد العيد جانباً ضاحكاً منها.

عليها أن لا تدعه يعلم ذلك. بل عليها أن تبحث عما تكبح به مشاعرها وإلا فسيحدث لها المزيد من تحطم القلب.

أخذت تتفحص جانب وجهه سراً. بدا وسيماً حسن التقاطيع، بملامح تسر الناظرين حتى ولو أصبح عجوزاً. ألقى دانييل عليها نظرة جانبية وكأنه شعر بتفحصها له، فحوّلت نظراتها عنه وقد احمر وجهها.

كان الجو قد ساء عندما توقف دانييل أمام مطعم صغير: «فكرت في



أن نشرب شيئاً».

وفي الداخل سألها: «أتريدين أن تأكلي شيئاً؟».

فهزت رأسها، غير شاعرة بشهية للطعام.

ـ هل تناولت غداءك؟

ـ لا. لكنني لست جائعة.

أثناء رشفهما القهوة، لاذ دانييل بالصمت بينما أخذت شارلوت تتساءل عما إذا كان قد ندم على إحضارها معه. لولا حرصه على معاقبتها، لأمضى عطلته في أحضان أي امرأة يريدها. وفكرت بمرارة في جانيس...

عندما استأنفا رحلتهما، كان المشهد قد غطاه الثلج وكانت الريح تقذف الثلج على زجاج السيارة الأمامي كطفل في نوبة غضب.

رغم الأحوال الجوية، بقي دانييل يسير بثبات بينما أخذت شارلوت تهوّم ناعسة متعبة بسبب عدم ارتياحها في النوم خلال الليلة السابقة. وعندما استيقظت كان الظلام يلفّهما ورأت أنهما يصعدان الطريق بثبات، وأنوار السيارة الأمامية تتحرك فوق بساط من الثلج.

استقامت في جلستها وأخذت تنظر من خلال الزجاج الأمامي. لم تستطع أن ترى أثراً لطريق وإنما ثلوجاً تغطي الأشجار على جانبي الطريق. قال دانييل: «لقد تجاوزنا «مارشيز» لتوّنا، وهكذا لم يعد مكاننا بعيداً».

وبعد مسيرة نصف ميل، انعطفت السيارة إلى اليمين من خلال فجوة بين الأشجار، وبعد ذلك بلحظة بدت أضواء صفراء مرحبة من خلال العاصفة الثلجية.

عندما أوقف دانييل السيارة رأت أن المنزل مؤلف من طابق واحد ذي مدخل مسقوف. سطحه المغطى بقطع خشبية صغيرة كان يتصاعد من أحدى مداخنه دخان رمادي يتلوّى بين الثلوج وكأنه جنّي هارب.

ـ انتظري هنا لحظة.

وقفز دانييل من السيارة وصعد الدرجات إلى باب البيت، ثم عاد في لحظة ليضع ذراعه حول خصر شارلوت ثم يقودها بسرعة خلال الريح والثلوج العاصفة.

دخلت معهما هبّة من رقائق الثلج سرعان ما ذابت في دفء غرفة الجلوس وتألقها. وضع حقيبة ثيابها على مقعد خشبي مستطيل ثم خلع عنها معطفها ونفضه ثم علقه في خزانة تصل من الأرض إلى السقف. ثم اتجه إلى الباب وهو يقول: «اعتبري نفسك في بيتك ريثما أضع السيارة في المرآب».

عندما خرج نظرت شارلوت حولها. بدت الغرفة جميلة فسيحة، جدرانها مدهونة بلون العسل، أرضها الخشبية مصقولة بالشمع، وأثاثها قليل يتميز بالبساطة. بالإضافة إلى جهاز التدفئة كانت هناك مدفأة على الحطب مشتعلة، وفوق رف المدفأة هناك فرع شجرة صنوبر مزين. وإلى جانبها سلة عريضة فيها قطع حطب، على مسافة قريبة منها هناك كهف مليء بقطع الحطب. على النوافذ هناك ستائر سميكة تبنية اللون، وقد وضعت في الغرفة أريكة وعدة كراسي مريحة منجدة، وعلقت على الحائط ساعة تراثية.

في نهاية الغرفة رأت شارلوت باباً عبقت منه رائحة شهية لطعام يُطهى. وعندما فتحته رأت مطبخاً مريحاً قديم الطراز بأثاث من خشب الصنوبر وكرسيين مريحين أمام موقد أسود مشتعل. وفي ناحية منه كان هناك قدر يغلي بهدوء، وفي الناحية الأخرى وضع إناء القهوة وإلى جانبه طبقان فخاريان.

رغم أن دانييل قد ذكر مديرة منزل اسمها السيدة مونرو، إلا أنه لم يكن ثمة أثر لها الآن. حالما جاءتها هذه الفكرة، سمعت الباب الخارجي يُفتح ثم يغلق، وبعد لحظة وصل دانييل إلى المطبخ وقد خلع معطفه



وارتدى كنزة سوداء.

سار إلى الموقد ومدّ يديه يدفئهما. وكان الثلج يذوب على شعره الأسود.

تألق ضوء نار الموقد على وجهه فبدا برونزي اللون، وحدد تجاويف وجهه ونتوءاته. كما بدت تقاطيع وجهه صلبة وكئيبة منيعة. إنه لا يشبه ذلك الرجل الباسم الذي عرفته. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «رغم أن ثمة وجبة جاهزة على الموقد إلا أنني لا أرى أثراً للسيدة مونرو».

ـ إنك لن تريها.

ـ ألا تسكن هنا؟

ـ لا. أنها تسكن على بعد ميل. ولسوء الأحوال الجوية أظنها ذهبت إلى بيتها بأسرع ما تستطيع.

إنهما إذن بمفردهما...

أحست بما يشبه الخوف، فقالت متلعثمة: «من الصعب أن تسير أو تقود سيارة في مثل هذا الثلج».

فقال بهدوء: «كانت السيدة مورغان تعيش في «مان» قبل أن تتزوج وتنتقل إلى نيويورك. وهكذا اعتادت على المناطق الثلجية. أراهن أنها جاءت بواسطة كاسحة الثلوج».

ـ آه، فهمت... لم أركب عربة كاسحة للثلوج قط، ولكن بإمكاني أن أتصور مبلغ المتعة في ذلك...

ـ إنها ممتعة حقاً. إذا شئت أن تجربي يمكننا أن نقوم بذلك صباح غد، لدينا عربة كاسحة في المرآب.

ـ هذا رائع.

ـ إنما الآن، ونحن الاثنان لم نتغدَّ، ما رأيك في أن نأكل؟

ـ طبعاً...

ونظرت إلى المائدة التي كانت جهّزت مقدماً بالخبز وأدوات المائدة

وسألته: «هل أسكب الطعام؟».

فأجاب ساخراً: «بما أنك ضيفتي، سأتولى أنا هذا الشرف».

جلست تنظر إليه وهو يسكب الطعام المكوّن من اللحمة والخضار في الطبقين. وضع طبقها أمامها: «تفضلي. رغم أنه طعام غير عادي بالنسبة لليلة العيد، لكن السيدة مونرو تطهو هذا النوع من الطعام بشكل رائع».

تناولت الشوكة دون شهية، لكن بعد لقمتين، وجدت نفسها جائعة للغاية فأخذت تأكل بنهم حتى أتت على طعامها بأكمله ثم مسحت المرق بقطعة خبز. وعندما رفعت بصرها وجدت دانييل يتأملها. ثم سألها بوجه صارم: «منذ متى لم تأكلي؟».

أحمر وجهها وأجابت: «لست واثقة».

ـ ماذا؟

ـ منذ الفطور.

ـ هذا الصباح؟.

ـ بل صباح أمس.

تمتم بصوت منخفض بكلمات قد تكون شتائم، قبل أن يقول متجهّماً: «عدم الأكل لهذه المدة الطويلة هو حماقة بالغة. لماذا بحق الشيطان...؟».

وسكت فجأة. ثم، بعد أن تمالك نفسه عاد يقول بهدوء: «لكننا سنتحدث بعد أن ننهي طعامنا».

ثم وقف واتجه إلى فرن التسخين وعاد بفطيرة طازجة ذهبية اللون. وبعد أن أحضر القشدة من الثلاجة سألها: «أتريدين أن تأكلي منها؟».

ـ ما نوع هذه الفطيرة؟

ـ تفاح.

ـ وما أدراك؟



فضحك: «السيدة مونرو تترك لي الوجبة نفسها منذ وقت لا أتذكره. لكن فطيرتها هذه مثل طعامها، ممتازة».

ـ سآخذ منها قطعة إذن.

قطع قطعتين متساويتين وسكب عليهما القشدة. فتناولت حصتها وهي تحاول أن تقول بمرح: «هل من يبقى إلى النهاية هو الذي يغسل الأطباق؟».

ـ لحسن الحظ، لدينا غسالة للصحون. من يبقى إلى النهاية يمكنه أن يضع الأطباق فيها ويسكب القهوة.

دون عجلة، كانت شارلوت هي الأخيرة. بينما ذهب هو إلى غرفة الجلوس رفعت هي الأطباق، وسكبت القهوة. وعندما حملتها إلى دانييل، كان قد سوّى المدفأة وهو يغلق الستائر، ثم عاد ليجلس أمام المدفأة المضطرمة.

بدا وكأنه وصل إلى قرار معين فقد كانت عيناه تلمعان، فيما يبدو عليه نوع من التصميم يثير الاضطراب.

تملكها القلق، فوضعت فنجاني القهوة على المنضدة ثم أخذت تتنقل دون هدف متمنية لو أنها في أي مكان آخر.

لكن الوقت فات الآن، وحدثها المنطق بأن دانييل يخدعها على الأغلب. وكان عليها أن ترفض المجيء.

ابتسامته الخفيفة أنبأتها بأنه عرف بالضبط ما كانت تفكر فيه وتحسّه وأنه كان يستمتع بذلك.

حمل فنجان القهوة ثم نظر إليها من تحت أهدابه: «هل أنت خائفة من أن أعضك إذا جلست بقربي؟».

ـ طبعاً لا.

لكن صوتها اهتز بالرغم عنها. فربّت على الوسادة بقربه: «لماذا لا تجلسين إذن؟».

جلست شارلوت بعد أن اختارت أبعد كرسي عنه فرأت زاوية فمه ترتعش: «أراك لا تحبين المغامرة».

تجاهلت قوله هذا وأخذت تحدق في ألسنة اللهب وهي تلعق الحطب، وهي تتساءل بقنوط كيف ستجتاز هذه الليلة على خير دون أن تُمس دفاعاتها.

طبعاً سيساعدها النوم باكراً في ذلك.

تصنعت التثاؤب وهي تقول: «لم أنم جيداً الليلة الماضية، فقد كان البرد شديداً. وهكذا، إذا لم يكن لديك مانع، لا أحب أن أتأخر عن النوم».

فقال متهكماً: «فكرة جيدة جداً. لكنني أريدك أولاً أن تخبريني عن سبب هجرك لي فجأة».

ـ أنا لا... لا أريد أن أتحدث عن هذا.

ـ بما أنك تعيشين تحت سقفي، ألا تظنين أن لي الحق في أن أعلم؟

عضت شفتها ولم تجب. فسألها بهدوء: «هل لديك فكرة عن شعوري عندما استيقظت فلم أجدك؟».

عندما بقيت صامتة، وضع فنجانه ثم نظر إليها بحدة: «ألم يخطر ببالك أنني قد أقلق عليك حتى الموت؟».

كانت قد افترضت أنه قد يغتاظ، أو يغضب لطريقة هربها هذه، لكنها لم تتوقع أن يقلق عليها بشكل جاد.

وعاد يقول: «ألم يخطر هذا ببالك؟».

ـ لا. لم يخطر ببالي. أنا امرأة راشدة ولست طفلة.

ـ لا شك في أنك امرأة راشدة، لكن هذا لم يمنعك من التصرف كطفلة. وفي الواقع، أي طفل لديه عقل أكبر من أن يجيع نفسه متعمداً. كنت على صواب في قلقي عليك.

ـ لم أتعمد إجاعة نفسي لكنني لم أكن جائعة.



فتنهد: «أخبريني يا شارلوت، ما الذي جعلك تهربين كأرنب خائف؟».

رفعت رأسها وقالت متعجرفة: «لا أريد الحديث عن ذلك».

ـ آه، أرنب ذو موقف... لماذا هربت؟.

اعترفت قائلة: «أدركت أنه ما كان لي أن أحضر إلى أميركا».

ـ ظننتك قد أحببت نيويورك؟

ـ نعم، أحببتها.

ـ إذن أنا الذي لم يعجبك؟

ـ لم أشأ أن تكون لي علاقة بك.

ـ لماذا لا؟

فقالت بقنوط: «لم يحدث قط أن أنشأت علاقة عابرة مع رئيسي أو سمحت له بمعانقتي».

ـ لماذا سمحت بذلك إذن؟.

ـ لا أدري... ذلك ما حدث.

ـ لا بد أنك انجذبت إليّ وإلا لما سمحت لي بمعانقتك.

ـ يا ليت هذا لم يحصل!

ـ لماذا؟.

ـ سبق وقلت لك إن ذلك ليس من عادتي.

عندما رأى احمرار وجهها قال بهدوء: «لكن اختلاف تصرفك هذه المرة لا يستوجب رحيلك».

فهزت رأسها: «ما حدث يجعل وضعي غير حصين».

ـ حسناً، مهما يكن الأمر فهربك هذا هو قمة في الحماقة. لماذا لم تحدثيني عن ذلك وتخبريني عما تريدين أن تفعلي، أم لعلك خفت أن أقنعك بالبقاء؟.

كان في ملامحها الجواب الكافي.



www.elromancia.com

ـ لو أنك حدثتني بالأمر لفهمت وابتعدت عن طريقك. من غير الممكن أن أضغط على امرأة لا تريدني.

فردّت بحدة: «هذا مضحك. لقد أرغمتني على القدوم معك إلى هنا بينما لم أكن أريد ذلك».

ـ ولماذا؟ هل أنت خائفة من أن تضعفي أمامي وتسمحي لي بمعانقتك مرة أخرى؟.

فكذبت بقوة: «لا. الأمر كله كان تصوراً مني ولا أنوي أن اترف الغلطة نفسها مرة أخرى».

فقال بصوت ناعم: «فهمت. في هذه الحالة ستكونين آمنة تماماً. إنما أخبريني يا شارلوت...»

قفزت واقفة وانفجرت تقول بصوت أبح: «لا أريد أن أجيب على مزيد من الأسئلة. أريد أن أنام إذا أريتني غرفتي».

ـ ألا تريدين أن تبقي مستيقظة قليلاً حيث إنها ليلة العيد؟

عالمة أن لحظة الانهيار باتت قريبة، ومتلهفة إلى أن تنفرد بنفسها، أجابت بإصرار: «لا، بل أفضّل أن أذهب الآن، إذا لم يكن لديك مانع».

ـ حسناً جداً.

وقف دانييل وأشار إليها بالدخول من باب إلى اليسار. بدا الأثاث في الغرفة بسيطاً، ولكن كانت هناك أريكة كبيرة مزدوجة عليها عدد من الوسائد.

وعندما أخذت تنظر حولها، أحضر إليها حقيبة ملابسها ووضعها على صندوق خشبي. ثم أغلق الباب وأسند ظهره إليه وابتسم لها...

وجف حلقها لتلك الابتسامة.

***



## ٨ ـ على حافة الجليد

خفق قلبها وانحبست أنفاسها وهي تراه يخلع كنزته ويلقيها على كرسي. وكان يلبس تحتها قميصاً حريرياً داكناً وربطة عنق، ففكّ ربطة عنقه ونزعها ثم وضعها مطوية بعناية على مائدة الزينة وبدأ يفك أزرار كمي قميصه.

سألته وهي ترتجف: «ماذا تفعل؟».

فرفع حاجبيه وأجاب: «أفك أزرار قميصي».

ـ لماذا تخلع ملابسك؟.

ـ هذا ما أفعله عادة قبل أن أنام.

فصرخت: «لكنك لا تستطيع أن تنام هنا؟».

فقال برقة: «لكنها غرفتي».

ـ أريد إذن غرفة أخرى لي وحدي.

قالت هذا وعيناها تتوهجان، فقال بأسف: «بما أنني آتي إلى هنا وحدي، هناك غرفة نوم واحدة للاستعمال. وهكذا علينا أن نتدبر أمرنا».

فقالت ساخطة بصوت أبح: «لكنني لا أريد أن أنام معك في نفس الغرفة. أريد أن أنام وحدي... كما أنك قلت إنك لن تلمسني».

ـ وعدتك بأن لا أحاول أن أرغمك وأنا أنوي الوفاء بهذا الوعد.



www.elromancia.com

فإن لم تكوني واثقة من نفسك. . . ؟

- بل واثقة تماماً.

- إذن ليس لدينا مشكلة. هناك سريران في الغرفة. كل منا يمكنه أن يستخدم سريراً بمفرده.

وكأن الأمر استقر تماماً، خلع قميصه وقذفه فوق كنزته. وبافتتان عاجز أخذت شارلوت تتأمل عضلات ذراعيه وصدره. ولم تعد أعصابها تحتمل، فاستدارت وهربت إلى الحمام تتبعها ضحكته الناعمة. أخذت تفكر غاضبة أن هذا الشيطان سبق وخطط لذلك. كان جزءاً من عقابه لها أن يجعلها تنام معه في الغرفة نفسها، إلا إذا استطاعت أن تفكر في طريقة تخلصها من ذلك. إذا كان ثمة مزلاج لباب الحمام فسوف تقفله وترفض الخروج، رغم حماقة هذا العمل وجبنه ومذلته. . .

ولكن لم يكن هناك مزلاج، وهذا يعني أن بإمكانه أن يدخل عليها في أي وقت يريد. . .

فتحت خزانة الحمام، بذهن شارد، فوجدت كومة من المناشف الناعمة، ورفاً عليه كل أدوات الاستحمام.

أخرجت زجاجة شامبو ومعجون أسنان وفرشاة أسنان جديدة ومشطاً، ثم اغتسلت ونظفت أسنانها ومشطت شعرهاوهي تفكر في ما عليها أن تفعله.

كان سيداً في التخطيط. فإذا استطاع أن يبقيها مضطربة غير متزنة فهذا يصبّ في مصلحته هو وستخسر تحكمها في نفسها.

لا بد لها أن تبقى متحكمة في نفسها، فإذا فقدت عقلها هذه المرة ستكون تحت رحمته. أليس من الأفضل إذن أن تتقبل الوضع بهدوء؟.

لقد قال لها إنه لن يرغمها، لذ فإن مشاعرها وحدها ستحميها. ومعرفتها بأمر جانيس ستساعدها على ذلك. هذا البرهان الإضافي على شخصيته سيجعل كراهيتها له أسهل.



كانت ملابس نومها ما تزال في الحقيبة، فلفّت منشفة كبيرة حولها، ثم فتحت الباب قليلاً وأخذت تنظر إلى الغرفة.

رغم أن ملابس دانييل كانت حيث خلعها، إلا أن السريرين كانا خاليين ولا أثر له في الغرفة.

كان الباب إلى غرفة الجلوس موارباً، وعندما نظرت في أنحائها وجدتها أيضاً خالية.

وعندما أدركت أنه قد ذهب إلى الحمام الثاني، سارت إلى حقيبتها لتحضر قميص نوم ورداء للمنزل.

كانت على وشك أن تلبس قميص النوم من فوق رأسها عندما دخل دانييل مرتدياً معطف حمام قصيراً من قماش المناشف، وشعره الأسود الكث ما زال رطباً من أثر الحمّام. لشدة ارتباكها وسرعتها أدخلت ذراعها خلال مجموعة حمالات إحدى الكتفين، فشعرت أن المنشفة تكاد تنزلق عن جسمها. أمسكت بالمنشفة بيدها بينما راحت تجاهد كي تحرر ذراعها.

ضحك دانييل ضحكة خافتة ونصحها قائلاً: «الأفضل أن تتركي المنشفة من يدك لأنك إذا بقيت بهذا الشكل، ستخنقين نفسك».

ودّت شارلوت لو أنها تخنقه هو وقالت بصوت كالفحيح: «إذهب ودعني وحدي».

ودهشت عندما رأته يخرج من الغرفة ويغلق الباب خلفه.

وبعد أن ارتدت ثيابها على مهل لم تعرف ماذا تفعل. ثم سمعت نقراً حذراً على الباب، فأوت إلى أقرب سرير. ما لبث أن أطل دانييل برأسه: «هل انتظم كل شيء؟».

فقالت متوترة: «نعم، شكراً».

دخل بعفوية واستدار إلى ناحيتها ثم جلس على حافة سريرها.

انتصبت في جلستها فجأة وسألته: «ماذا تفعل؟».

ـ لا حاجة بك للذعر.

فقالت كاذبة: «أنا لست مذعورة».

ـ غريب، فأنت تبدين هكذا.

ـ أنت قلت إنك ستلتزم بالنوم في السرير الآخر.

ـ لقد غيرت رأيي بالنسبة لهذا...

وترك الجملة معلقة في الهواء. وعندما اتسعت عيناها انفجر ضاحكاً: «يجب أن تري وجهك!».

ـ أنت خنزير.

فبدا عليه الألم: «كيف تشتمينني بينما أحاول أن أكون طيباً معك؟».

فقالت متوترة: «لا أريدك أن تكون طيباً معي».

ـ حسناً، إذا كان هذا شعورك... ولكن إذا كنت حقاً لا تريدين أن تنام في الغرفة نفسها، سأنام على الأريكة أمام النار... هذا إذا كنت حقاً لا تريدينني أن...

ـ نعم. لا أريد.

ـ هذا واضح تماماً، ولو أن فيه ظلاً من عدم المديح.

حبست أنفاسها وهي تراه يتعمّد مضايقتها، وانتظرت أن يخرج.

بعد أن وضع يده على مقبض الباب عاد يقول فجأة: «لكنني نسيت شيئاً».

فهمست من حلق جاف وهي تراه يعود فيجلس على حافة السرير: «ماذا؟».

ـ ألا أستحق عناقاً صغيراً لشهامتي؟.

ـ لا أريد أن أعانقك.

ـ وهل هذا حسن منك، بينما أنا أمضي ليلة متعبة على الأريكة فقط



كيلا تنجذبي إلي؟.

تجاهلت استفزازه هذا لها وقالت: «لا أريد أن أعانقك».

ـ لا بأس. أنا سأعانقك. وهكذا سيبقى ضميرك مرتاحاً.

وابتسم لها ابتسامة جعلت كل عصب في جسدها وكل عضلة تتوتر إزاء الإغراء الذي تضمنته تلك الابتسامة. ثم مال نحوها وعانقها عناقاً مليئاً بالجمال والسحر والإحساس، عناقاً أشهى من جرعة ماء باردة لإنسان يكاد يموت عطشاً في الصحراء.

صدرت عنها شهقة خفيفة، فرفع رأسه: «إذا كنت ما تزالين تريدينني أن أخرج، أخبريني الآن».

قالت بغير اقتناع: «نعم... أريدك أن...».

همّ بأن يخرج إلا أن قلبها لم يطاوعها بأن تحرمه من النوم بارتياح في السرير الآخر. فأحاطت عنقه بذراعها وهمست: «لا، لا تذهب».

تأوه دانييل وعاد يحتضنها من جديد. دفنت وجهها في عنقه وأخذت تفكر كم تحبه وهي تندس به. وفجأة أنبأها التعقل أن عليها أن تتمالك نفسها قبل أن تقوم بما تندم عليه. فابتعدت عنه قليلاً: «حسناً، تصبح على خير».

وبسرعة انسل دانييل مبتعداً قائلاً: «تصبحين على خير».

رغم أنه لم يفعل أي شيء بصراحة لكي يسيطر عليها، فقد سيطر عليها بعناقه وحنانه البالغين.

عندما سحقتها ضخامة هذا الإحساس، راحت تبكي بكاءً صامتاً انحدرت معه دموعها على خديها، ولم تشعر بعدئذٍ متى استسلمت للنوم.

عندما استيقظت شارلوت كانت الغرفة تسبح في ضوء الثلوج وكانت وحدها في الغرفة. نظرة إلى ساعتها أنبأتها بأن النهار قد انتصف



www.elromancia.com

تقريباً، ولم تسمع أي صوت في الخارج.

جلست وقد تعرّقت راحتاها وأخذ قلبها يخفق بقوة.

شعرت بوحشة مؤلمة إلى حد جعلها تئن بصوت مرتفع. لكن هذا كان فقط بداية ألمها، إنه عقابها لوقوعها في غرام شخص مثله.

حتى لو لم يرحل الآن، فهذا ما سيحدث في النهاية. ولكن ماذا ستفعل الآن، في المستقبل القريب؟.

بعد أن أحرقت مراكبها بقدومها معه إلى هنا، فليس أمامها سوى البقاء هنا حتى النهاية، لكن هذا لا يعني أن عليها أن تسمح له بمعانقتها مرة أخرى. إذا وجدت القوة لتقول لا، وتمسكت بموقفها، سوف يذعن لرفضها.

الليلة الماضية، بدا عليه التردد وكأنه هو نفسه يشك في حكمة ما كانا يفعلانه. ربما فكر أن جانيس ستتملكها الغيرة. لكن إذا كان يفكر في الزواج منها، لمَ لا يمضي عطلته برفقتها؟.

شعرت شارلوت وكأنها تسير مترنحة على حبل هش ضعيف ممتد فوق هوة لا قرار لها.

نزلت من سريرها واتجهت إلى الحمام حيث اغتسلت وسوّت من شأنها. وما إن عادت إلى غرفتها لتحضر ملابس نظيفة حتى انفتح الباب ودخل دانييل، وكان ما يزال مرتدياً رداء الحمّام.

رأى أنها ما زالت ترتدي ثياب النوم فقال مسروراً: «تبدين كعروس البحر».

فقالت بسرعة: «كنت على وشك ارتداء ملابسي».

ـ وأنا على وشك أن أدعوك لتناول الغداء. ألا أستحق منك عناقاً صغيراً لأجل ذلك؟.

قالت دون تردّد: «لا أستطيع...»



فقال ببشاشة: «طبعاً تستطيعين، فأنت لم تمانعي حين عانقتك الليلة الماضية».

فهمست: «أرجوك، يا دانييل».

رأى العذاب والعجز في عينيها فقال ببطء: «إذن عناق الليلة الماضية لم يغيّر شيئاً؟».

ـ هل كنت تتوقع ذلك؟.

ـ ربما لا، فما زال هناك الكثير لتتحدث عنه، لكن ليس هذا هو الوقت المناسب لنقوم بذلك. أتفضلين أن تأكلي في السرير أم أمام الموقد؟

فقالت دون تردد: «أمام الموقد».

ـ حسناً جداً. كما تشائين.

حالما خرج ارتدت كنزة وبنطلون جينز، ثم تبعته إلى المطبخ. وكان دانييل قد ارتدى ثيابه أيضاً، كنزة رياضية وبنطلوناً عادياً.

بعد أن أجلسها أمام النار الملتهبة وناولها فوطة وشوكة وصحناً، أحضر طبقاً مليئاً بالطعام من فرن التسخين وهو يقول: «إنه بسيط لكنه لذيذ كما أرجو».

كان هناك بيض مسلوق، إسكالوب، خبز طازج، نقانق، فطر، وشرائح لحم مقلية.

سألها: «هل أضع في صحنك قليلاً من كل نوع؟».

وقبل أن تجيب ملأ صحنها، وكان منظر الطعام ورائحته شهيين. وأدهشها أن تشعر بشهية بالغة للأكل. بعد انتهاء الطعام قام دانييل بإعداد القهوة.

أخذت شارلوت تحدق في النار، شاعرة بالتوتر والقلق، وخائفة من الأسئلة التي سيطرحها عليها.

عاد إلى مقعده ثم أخذ يتأملها بثبات حتى اضطرت إلى مبادلته نظراته. عندئذٍ قال: «والآن أخبريني ما الذي جعلك ترحلين فجأة دون



www.elromancia.com

التفوّه بكلمة؟».

ـ لقد أخبرتك بالسبب.

ـ ولكن ليس بكامل القصة. لا بد أن هناك المزيد. أريد أن أعلم لماذا قررت ترك وظيفتك والعودة إلى إنكلترا؟

هزت رأسها بصمت.

ـ بصفتي المسؤول عن إحضارك إلى هنا، ألا تظنين أنه يحق لي أن أعرف السبب؟

بقيت صامتة بعناد، فتابع يقول: «إذا كنت مصممة تماماً على الرحيل، لماذا لم تطلبي مني ما تحتاجينه؟ خروجك بذلك الشكل كان حماقة تامة، إذ ليس لديك تذكرة رجوع ولا نقود».

ـ كيف عرفت أن ليس لدي نقوداً؟

ـ عندما تحدثت مع ريتشارد اعترف بأنه أقرضك ما يكفي من النقود لتسوية أمورك.

ـ لقد كذبت عليّ إذن عندما أخبرتني أن رينشارد ليس هو الذي أخبرك عني؟.

ـ لم أكذب. وهو لم يخبرني عنك. في البداية لم يكن لدي فكرة أنه رآك. ثم علمتُ ذلك من مصدر آخر تماماً. وعندما اتصلت به إلى فلوريدا وقلت له إنني...

وسكت فجأة فقالت: «قلت له إنك ستأتي إليه وتضربه؟».

فرفع حاجبيه. فتابعت بمرارة: «يمكنك إذن أن تضرب إلى حد لا يسبب الموت أليس كذلك؟».

بدا التنبّه في عينيه، وسألها: «ما الذي جعلك تقولين ذلك؟».

ارتفع التوتر بينهما: «مجرد شيء سمعته. على كل حال، يدهشني أن تزعج نفسك إلى حد الاتصال بريتشارد من أجلي بينما يمكنك الاتصال بالكثير من النساء اللواتي يسعدهن أن يرافقنك».



توتر فكه وقال ببرودة: «يبدو أن الوحول التي قذفتها الصحافة القذرة في الماضي عليّ، ما زالت ملتصقة بي».

أرادت أن تخبره أنها تعرف بأمر جانيس، أن تلقي بمسألة موت تيم في وجهه، لكنها لم تستطع فقالت: «لا أحتاج إلى ما نشرته الصحف في الماضي لكي أعرف أي خنزير أنت».

ـ بماذا تتهمينني بالضبط؟ ما دمت لا أعرف، فأنا لا أستطيع أن أردّ على الاتهامات.

تأملها فترة باكتئاب ثم تابع يقول: «إذا وضعنا الماضي جانباً، يبدو أنني أواجه هجوماً عنيفاً، فقد اتهمني رينشارد بأنني حاولت التحرّش بك».

احمرّ وجهها: «أنا آسفة لذلك. فقد حاولت أن أخبره بأن الأمر كله كان ذنبي أنا، لكنني وجدت صعوبة في شرح السبب الذي جعلني أترك بيتك فجأة».

ـ أتمنى لو أنك تشرحين ذلك لي أنا.

وعندما لم تجب قال: «أخبريني على الأقل عما فعلته فجعلك تنعتينني بالخنزير؟».

ـ أنت أرغمتني على المجيء إلى هنا معك.

ـ من المؤكد أن هناك سبباً أكبر من هذا.

ـ ألا يكفي هذا؟

ـ لو كنت حقاً ضد فكرة المجيء إلى هنا لدعوتني إلى تنفيذ تهديدي.

ـ يا ليتني فعلت!

تنهد دانييل وتخلى فجأة عن النقاش، ثم وقف: «بما إنك هنا من المخجل أن لا تري بعض النواحي الريفية».

أمسك بيدها وأوقفها على قدميها: «إذا كنت تريدين أن تري كيفية كسح الثلوج، اذهبي وارتدي ثياباً سميكة بينما أضرم أنا النيران في



www.elromancia.com

المدافىء ثم أحضر الكاسحة».

بعد أن ارتدت ملابس سميكة، خرجت شارلوت من الباب الأمامي حيث كان الهواء قارساً وكانت الشمس تتألق في السماء كزهرة القنبيط، وكأن الكون بأجمعه قد التف برداء أبيض.

كانت الثلوج المتساقطة تؤلف أشكالاً غريبة تشبه طيور النورس، وتكسو جذوع الأشجار وفروعها.

أخذت تراقب طائراً كبيراً يسبح في الفضاء فوق الرؤوس ناشراً ظله الكبير على الثلج عندما سمعت زئير محرك.

وبعد لحظات جاء دانييل راكباً ما يشبه دراجة نارية ضخمة تسير على شفرات معدنية ضخمة بدلاً من العجلات.

ـ هل جربت قط ركوب المقعد الخلفي من الدراجة الآلية؟.

ـ مرة أو اثنتين فقط.

كان تيم قد طلب دراجة نارية هدية عيد مولده الثامن عشر. ولكن بعد عدة اصطدامات صغيرة، خشيت شارلوت أن تودي بحياته فرفضت أن تسدد بقية أقساطها، فاستعادها المتجر.

ـ حسناً ستجدين الزحافة أسهل بكثير وأكثر ثباتاً. البسي هذه واصعدي خلفي.

وناولها خوذة تشبه تلك التي كان يلبسها.

وسرعان انطلقا في طريق الغابة التي جاءا منها في اليوم السابق.

لم تشعر شارلوت بالبرد كما توقعت فالزجاج الأمامي وجسم دانييل شكّلا حماية لها. وإذ قررت أن تترك كل ما يقلقها خلفها وتعيش للحظتها الحاضرة، وجدت نفسها تستمتع بالنزهة. شعرت بالبهجة عندما رأت الأشجار تندفع راكضة إلى الخلف على جانبي الطريق.

سألها من فوق كتفه: «هل أعجبك هذا؟».

فأجابت بحماسة: «بل عشقته».



على مدى الساعة التالية، دارا حول القرى الصغيرة وقطعا الطرقات والدروب، واكتشفا النواحي الريفية، وتوقفا من وقت لآخر ليلقيا نظرة على الأمكنة الهامة. بعد أن تسلقا تدريجياً إلى قمة تلة مغطاة بالغابات، أوقف دانييل الزحافة وقال: «والآن، هذا منظر رائع لا تدعيه يفوتك».

وقفت شارلوت تنظر إلى مشهد ساحر بين الأشجار، ووقف هو خلفها، يصونها بجسده من الريح القارسة. وسألها: «رائع، أليس كذلك؟».

ـ رائع جداً!.

فأشار بأصبعه: «في تلك الناحية إلى الشمال تقع قرية «وودستوك».

وعندما رفع ذراعيه احتكتا بكتفيها فارتجفت. فقال وقد شعر بتلك الحركة اللاإرادية منها: «أتشعرين بالبرد؟ من الأفضل أن نذهب».

وصلا إلى فسحة كبيرة تشرف على بحيرة «بيفر»، وكانت الشمس الغاربة تلقي ظلالاً على الثلوج البيضاء وتوشّح السماء باللونين الوردي والأزرق الباهت.

دارا حول البحيرة تابعين جدولاً متجمداً جزئياً حتى وصلا إلى سد من الأغصان الصغيرة خلفه بركة ماء متجمدة.

سألها وهو يوقف الكاسحة: «هل رأيت قط وكراً لحيوان القندس الشمين الفرو؟».

ـ لا، لكنني أحب ذلك جداً.

ـ حسناً، إنها فرصتك.

وقفزا عن الكاسحة ودانييل يساعدها على النزول، ثم أخذ يفحص البحيرة.

راحت شارلوت تنظر إليه مستمتعة، كانت تعتبره رجل أعمال قوي لكنها تراه الآن على ضوء مختلف. وكأنها تسمع صدى صوت ذلك الصبي الذي ألف هذه الجبال... الصبي الذي جال في هذه الأنحاء أثناء



www.elromancia.com

الصيف وتزلج فيها في الشتاء.

سار دانييل بحذر على الجليد حتى وقف على الربوة ثم استدار ليقول: «إذا أردت رؤية وكر القندس عن كثب اتبعي الخط الذي سرت أنا عليه».

أخذت تعبر دون تردد، باذلة جهدها للسير في الطريق الذي سار هو عليه، وعندما اقتربت منه، مدّ يده إليها وجذبها إلى الربوة بجانبه.

نظرت إلى كومة الأغصان المكسوة بالجليد وفروع الأشجار التي تسندها، وسألته: «هل هذا حقاً وكر القندس؟».

ابتسم للحماسة في صوتها وقال: «إنه هو حقاً».

ـ لا يمكنني أن أرى مدخلاً له.

ـ رغم أن القندس يعيش فوق مستوى الماء، إلا أن مدخل وكره هو دوماً تحت الماء.

ـ كم يبلغ عمق البحيرة؟

ـ ربما أربعة أقدام أو أكثر قليلاً.

ثم أضاف قائلاً: «علينا ألاّ نطيل البقاء هنا فطبقة الجليد ليست سميكة. والآن، من سيجتاز البحيرة أولاً؟».

كانت ساقاها ترتجفان لوجوده بقربها، وأدركت أنها بحاجة إلى بعض الوقت لتتمالك نفسها، فقالت: «الأفضل أن تذهب أنت».

نظرت إليه وهو يعبر الجليد في عتمة الغروب المتزايدة، فأعجبت بخفته ورشاقته، ما أروع جسمه!.

وكم تحبه!.

رغم أن دانييل لن يكون أبداً الرجل الذي تريده أن يكون، لن يمتلك رجل آخر قلبها قط كما فعل هو.

عندما وصل إلى الأرض اليابسة ناداها: «تعالي بحذر»

سارت بضع خطوات بحذر وإذا به يهتف بها محذراً بحدّة: «أنت



تتحركين بعيداً عن الخط. الجليد أقل سماكة هناك».

فجأة سمعت قرقعة، وشعرت بالجليد يتهشم تحت قدميها...

* * *

www.elromancia.com
مـرمـوريـة

## ٩ ـ لو أنها حقاً حبيبته!

أمرها بهدوء: «استلقي على الجليد ووزّعي وزنك».

فتمددت بحذر وهدوء غريبين.

ـ والآن، أعطيني يديك.

أطاعته فتمدد على بطنه، ومدّ يديه وأمسك يديها المكسوتين بالقفازين.

ـ ابقي جامدة تماماً.

أخذ يتراجع إلى الخلف بهدوء، حافراً الأرض بأصابع قدميه، وجرها إلى حيث الأمان. وبعد لحظات وقف وساعدها على الوقوف، ثم سألها بلهفة: «هل أنت بخير؟».

بدا أكثر قلقاً عليها من نفسها بكثير، فأجابت تطمئنه: «أنا بخير تماماً».

فقال بغضب: «أنا أحمق مغفل، ما كان عليّ أن أعرضك للخطر كما فعلت. لو أنك غرقت...».

ـ حتى لو غرقت، ما كنت لأموت...

ـ لكن الماء بارد إلى حد لعين، فإذا تبلّلت وأصبت بصدمة لتسبب ذلك بأذى بالغ.

ـ حسناً. شكراً لك، فأنا لم أصب بشيء. حتى إنني لا أشعر ببرد ولا بلل.



وكأن الحظ أراد أن يكذبها في اللحظة نفسها فارتجفت من البرد عندئذٍ قال بجفاء: «حان وقت العودة. إننا بعيدان عن البيت وعندما يهبط الليل يزداد البرد».

وسرعان ما انطلقت بهما الكاسحة والضوء يمتد أمامهما خلال عتمة الغروب. وما إن وصلا إلى المنزل حتى توجه دانييل إلى المرآب ليضع الكاسحة ثم دخل وأشعل نيران المدافىء، وفي هذا الوقت كانت شارلوت قد أعدّت القهوة.

حالما دخلت البيت، عادت إليها مشاكلها التي وضعتها جانباً عند خروجها، فأدركت أن الخلاص منها مستحيل إذا هي لم تصفح ولم تنس معاً.

وللمرة الألف، عاد تفكيرها إلى النقطة نفسها. رغم أنها تحبه، فإن دانييل وولف ليس كاذباً وزير نساء فقط... بل تصرفه هو الذي سبّب موت أخيها.

ولكن، كما كانت كارلا تذكّرها دوماً، الرقص يحتاج إلى شخصين، ولا بد أن تكون جانيس مسؤولة جزئياً على الأقل.

ومع ذلك، لو أشعل دانييل النار لكان حظ جانيس في عدم الذوبان بقدر حظ كرة الثلج في نار جهنم.

وهي تعلم ذلك من تجربتها معه.

كلما انتهت العطلة بسرعة، كلما كان ذلك أفضل.

لكن حتى لو استطاعت أن تقنعه بأن يعيدها إلى نيويورك غداً، ما زال عليها أن تمضي معه الليلة القادمة.

جاء دانييل ليجلس معها أمام النار، فشعرت بتوتر بالغ. وعندما جلس أمامها، وجدت نفسها تتجنب النظر إلى عينيه. سألها وهو يتناول فنجانه: «هل حدث خطأ ما؟».

فأجابت متهكمة: «وأي خطأ يمكن أن يحدث؟»

ـ أأفهم أنك مازلت مستاءة لأنني . . . الرئيس المسيطر؟.

ـ ألا تظن أن لديّ الحق في أن أستاء من ذلك؟ أنا لم أشأ أن أحضر إلى هنا . . آه، أنا أعلم أنك لم ترغمني على ذلك، ولكن . . .

وسكتت شاعرة بالتعاسة.

فقال ببطء: «وهكذا، فأنت تريدين أن تذهبي لتنامي وحدك في ذلك الجحر؟».

بدت على وجهه الصلابة والكآبة: «حسناً، إذا كان هذا هو شعورك، سنعود إلى المدينة في الصباح الباكر».

جذبت نفساً عميقاً وهي تحدث نفسها بمبلغ ارتياحها. لكنها في الواقع لم تشعر بالارتياح. فقد ازداد شعورها بالتعاسة والبلبلة أكثر من أي وقت مضى.

وتابع يقول وفي صوته نبرة تنذر بالخطر: «لقد حان الوقت لكي نتوقف عن هذه الألاعيب و . . .»

فانفجرت تقول: «أنت الوحيد الذي تقوم بألاعيب هنا!».

ـ لا أظن ذلك.

وفجأة جمدها الخوف، فهمست: «ما الذي جعلك تقول ذلك؟».

نظر إليها بعينين فولاذيتين: «أنا سألقي عليك السؤال، وهذه المرة أريد جواباً شافياً».

ـ حتى لو اضطررت إلى أن تضربني لكي أخبرك . . .؟ حسناً، يمكنك ذلك فأنت رجل كبير شجاع.

فقال بهدوء: «هذا ليس ضرورياً. هناك طرق أخرى».

وعلى الفور، استحال الحديث إلى مواجهة، فأخذت جرعة من قهوتها وانتظرت وهي ترتجف بشكل سيء. أما هو فتركها تنتظر. ومع تتابع الثواني، حاولت أن تتمسك بهدوء زائف.

جاء سؤاله الأول هادئاً عفوياً: «أخبريني يا شارلوت، لماذا طلبت



استلام وظيفة في نيويورك؟».

فاجأها هذا السؤال. وإذ توقعت منه أن يسألها بعدئذٍ عن سبب هجرها منزل «الزنابق»، حاولت أن تجد جواباً يصدقّه، أو على الأقل يقبله.

ابتلعت ريقها وقالت بلهجة عرجاء: «كنت بحاجة إلى التغيير . . . ثم إنني أحببت دوماً أن أرى نيويورك».

ـ لا بد أنك كنت متلهفة تماماً لذلك بحيث جئت بعد يوم واحد.

ـ لم يكن لديّ ما يبقيني في لندن.

ـ لماذا إذن هذه العجلة في العودة إليها؟

ـ أدركت أن حضوري كان غلطة سيئة.

ـ كيف تأكدت من ذلك بينما لم تبدأي العمل بعد؟

ـ ليس لذلك علاقة بالعمل. كما قلت من قبل، كان الأمر شخصياً. لم أكن أنوي أن أتورط مع رجل مثلك.

ـ لم يكن هذا انطباعي عنك. وفي الواقع، لقد ظننت العكس تماماً. أحياناً كنت تبدين سعيدة جداً إلى حد . . . هل نقول . . . أن تشجعيني؟

ـ لكنني لم أكن أنوي أبداً أن . . .

وأدركت أنها كانت تنطق بأفكارها بصوت مرتفع فسكتت فجأة وهي تشعر بالاضطراب.

ـ لم تكوني تنوين ماذا؟ أن تتعلقي بي أو . . . تحبينني مثلاً؟.

وكان في توهج وجهها الجواب الكافي.

ـ ماالذي كنت تنوينه إذن؟ أن تغريني وتبقيني معلقاً حتى أطلب منك أن تتزوجيني؟

ـ كلا بكل تأكيد.

ـ لن تكوني أول امرأة تحاول ذلك.

انقبض قلبها، وقالت بحدة: «صدقني، إنك آخر رجل في العالم

أحب أن أتزوجه».

نظر إليها رافعاً حاجبيه: «لا أتصور أن لديك أي تحفظ ضد الزواج برجل غني والعيش برفاهية».

ـ إذا تزوجت قط، أريد أن أثق بزوجي، وليس هناك امرأة عاقلة يمكنها أن تثق برجل له مثل سمعتك. وكما سبق وأخبرتك أكثر من مرة لا نية لي في أن أتورّط معك.

ـ نعم، هذا ما أخبرتني به، لكن المشكلة هي أنني لم أصدقك حينذاك ولست أصدقك الآن. وبالرغم من (سمعتي) أبديت أنت رغبتك في اجتذابي منذ أول لقاء بيننا.

شعرت بالغثيان. هل كانت مكشوفة إلى هذا الحد؟

ـ لا يمكنك أن تنكري أنك، في الليلة التي أخذتك فيها إلى «لاهاثانا»، حاولت أن تعبثي معي، وبعد ذلك عندما صعدت معك إلى غرفتك...

فانفجرت وهي ترتجف: «كنت مرهقة حينذاك».

ـ يمكن للإسراف في السهر أن يسبب الإرهاق الشديد، لكنه لا يجعلك تعانقين رجلاً لا تريدين التورط معه.

فانفجرت تقول بغضب: «أنا أكرهك».

فقال بهدوء بالغ: «أعتقد أنني عرفتك حتى الآن بما يكفي لأتأكد من أنك لو كنت تكرهينني لما سمحت لي بمعانقتك المرة بعد الأخرى».

ـ بل أكرهك.

واختنقت وهي تتصور وجه جانيس الجميل المجفل. فهز رأسه وقال بهدوء: «ربما تريدين أن تكرهيني، لكنني لا أظنك تستطيعين ذلك بالرغم مما حدث لأخيك غير الشقيق».

ساد صمت طويل لم يعكّره سوى دقات الساعة وقرقعة الحطب في المدفأة وهمس الرماد المتساقط.



ثم أضاف ببطء: «إذن كنت تظنين أنني لا أعلم؟ بالتفكير في ذلك بات الأمر مفهوماً».

بدا صوتها غريباً في أذنيها وهي تسأله: «منذ متى علمت أن تيم هو أخي؟».

ـ أخبرني تلفورد بذلك. حذرني من أنك حزينة للغاية وغاضبة لدوري في ما حدث... وهذا ما جعلني أتساءل عن السبب الذي جعلك تطلبين الحضور إلى نيويورك حيث سنصبح قريبين من بعضنا البعض.

لم تعد شارلوت تستطيع التنفس فجلست جامدة تحدّق في وجهه.

ـ لماذا فعلت هذا يا شارلوت؟ هل كنت تخططين للانتقام؟.

لم تستطع الإنكار، فسألها بشيء من السخرية: «ماذا في ذهنك؟ من الواضح أنك لم تخططي لطعني بسكين. دعيني أستنتج. من باب التخمين، أظنك كنت تأملين أن أقع في غرامك دون أن تتورطي أنت معي. ثم، عندما أقع في غرامك وأتعلق بك، تلقين في وجهي قنبلة. هل تخميني صائب؟ نعم، يمكنني أن أرى هذا في ملامحك. وهكذا، ما الخطأ الذي حدث؟ ما الذي جعلك تهربين؟».

بعد لحظة أو اثنتين وجدت صوتها، فقالت بيأس: «لم يحدث أي خطأ... كل ما في الأمر أنني أدركت بأنني لن أستطيع أن أستمر في هذا».

ـ لماذا لم تستطيعي أن تستمري فيه؟

وعندما لم تجب عاد يلحّ عليها: «إذا كنت تريدين الانتقام لدوري في موت أخيك، لا أفهم لماذا...»

فانفجرت تقول: «ما لم أفهمه هو، إذا كنت تعلم أن تيم هو أخي غير الشقيق، لماذا لم تذكر ذلك قبل الآن؟».

ـ كنت أنتظر منك أن تكشفي الأمور، وبهذا يمكنني أن أرد على أي

تهمة. ولكن مع أنني منحتك فرصاً كثيرة إلا أنك لم تتفوهي بكلمة. في البداية ظننت أنك قررت أن وضع كل شيء وراء ظهرك واعتبار أن ما فات قد مات. أو على الأقل، أنك جئت لتعلمي ما حدث بالضبط وذلك على ضوء العقل. سرعان ما بدا واضحاً أنك ما زلت غاضبة، وأنني ما زلت الملوم إلى حد كبير لموت أخيك».

ـ أنت مخطىء تماماً.

وعندما رأت لمحة دهشة في وجهه أضافت بلهجة حاسمة لاذعة: «أنا أظنك وحدك الملوم. فأنت أغريت خطيبته، وعندما واجهك بالأمر، ضربته وطردته من العمل ثم طلبت أن يلقوا به خارجاً. ولولاك لبقي حياً. والآن أجب على هذه الأسئلة إذا استطعت».

فأجاب بهدوء: «طبعاً أستطيع».

بدا وجهه قاسياً كالصوان، وعندما تقابلت أعينهما، رأت أن عينيه الرماديتين أصبحتا بسواد الفحم: «سأجيب أولاً على الاتهام بصرفه من العمل، لأنه الاتهام الوحيد الصحيح. نعم، لقد طردته من العمل وذلك في ظروف جعلتني لا أستطيع القيام بغير ذلك...»

ـ طبعاً لم تستطع! وكيف تستطيع أن تستمر في توظيف رجل أنت على علاقة مع خطيبته؟.

ـ هذا غير صحيح.

قال هذا دون تردد، فقفزت وواجهته ثائرة: «لا أريد أن أسمع أياً من أكاذيبك وأعذارك».

فقال بصوت كشفرة الفولاذ: «كل ما ستسمعينه مني هو الحقيقة. فإذا أردت أن تسمعيها، اجلسي وأنصتي».

فجلست وعضت على شفتيها.

ـ بعد ظهر ذلك اليوم الذي ابتدأ فيه كل شيء، كان لدى سكرتيرتي السيدة ولدون، موعد مستعجل مع طبيب الأسنان. فأرسلوا لي سكرتيرة



أخرى لم أرها قط من قبل لكي تحلّ محلّها هي الآنسة جيفري. كانت سريعة كفوءة، ولكن كان هناك الكثير من العمل. ولم ننته إلا عند السادسة والنصف تقريباً، عندئذٍ عادت الآنسة جيفري إلى مكتبها. وبالنسبة إليّ، انتهى الأمر هنا. يومها بدأ الجوّ يسوء عند العصر ثم أخذ المطر يهطل بغزارة. وهكذا طلبت سيارة أجرة لتعيدني إلى فندقي. وعندما اجتزت الردهة، رأيت أن الآنسة جيفري لا تزال هناك. وكانت ترتدي سترة خفيفة وليس لديها مظلة. وفي هذه اللحظة كانت سيارة الأجرة تقف أمام الباب، وهكذا عرضت عليها أن أوصلها.

«ترددت لحظة أو اثنتين، ثم شكرتني وصعدت إلى سيارة الأجرة، لكنها قالت بسرعة إنها لا تريد أن تذهب إلى البيت مباشرة. كان التوتر بادياً عليها وقالت إنها تريد أن تشتري شيئاً لتأكله وربما تذهب إلى عرض ما. وسألتني أن أنزلها في مكان قرب شارع «تشارينغ كروس»، إذا لم يكن هذا بعيداً عن طريقي. طمأنتها إلى ذلك، ثم لاحظت أنها ما زالت متوترة هائجة الأعصاب، فسألتها إن كان كل شيء يسير على ما يرام. فقالت نعم، لكنها انفجرت بالدموع فجأة. ناولتها منديلاً ثم انتظرت. وعندما وصلنا إلى شارع شارينغ كروس كانت ما تزال تبكي، وبدا المطر أغزر من ذي قبل... وكان فندقي قريباً، فتصرفت من وحي الساعة ودعوتها إلى تناول العشاء معي...

ـ وهل تدعو عادة خطيبات رجال آخرين إلى العشاء؟.

ـ حينذاك لم تكن لدي فكرة أنها مخطوبة، وبدت لي صغيرة عاجزة للغاية...

ـ ربما بدت جانيس صغيرة وعاجزة لكنها تلبس خاتم خطبة.

ـ لم تكن تلبس خاتماً ذلك النهار.

ـ إنها تلبسه دوماً.

أصرت شارلوت على قولها هذا، وهي تتذكر كيف أن الفتاة كانت

مزهوة بخاتمها السوليتير الذي اشتراه تيم لها بمعونة أخته.

فقال دانييل بفتور: «كانت يداها الاثنتان خاليتين من الخواتم».

وعندما سكتت شارلوت، عاد يقول بهدوء وفتور: «قبلت الآنسة جيفري دعوتي. وفيما نحن نأكل، أخذت تفرغ كل مشاكلها، فأخبرتني بأن شجاراً عنيفاً حصل بينها وبين صديقها وأنها أعادت إليه خاتمه...».

فقاطعته شارلوت ثائرة: «أنت تكذب. قبل أن أذهب في عطلتي بعدة أيام فقط، كانا في منتهى السعادة وقررا إتمام العرس في أيلول».

ـ لا أشك في ذلك، وقد أخبرتني الآنسة جيفري بذلك بنفسها. لكنها قالت لي أيضاً، دون ذكر للتفاصيل، بأن أمراً قد حدث وأفسد تلك الخطط، كما هدد العلاقة بأكملها».

عضت شارلوت شفتها وانتظرت. وبعد لحظة تابع يقول: «كانت الآنسة جيفري تفكر في ذلك الوقت في أن سكنهما معاً وخطبتهما كانا خطأ فظيعاً. لكنها كانت خائفة من أن يصبح الوضع أسوأ إذا ما أخبرت صديقها بذلك في تلك الظروف. ولم أستطع أن أنصحها بشيء حينذاك وأنا لا أعرف ما هي تلك الظروف. كل ما استطعت عمله هو الإصغاء. وعندما انتهى العشاء اقترحت عليها أن أستدعي لها سيارة أجرة لتأخذها إلى بيتها، فانفجرت باكية مرة أخرى قائلة إنها لا تستطيع العودة إلى الشقة وإنها بحاجة إلى مزيد من الوقت لتفكر. وإذ أدركت مدى تعاسة الفتاة المسكينة، استأجرت لها غرفة في الفندق، أوصلتها إليها وتركتها عند الباب».

وعندما رأى ما ارتسم على ملامح شارلوت أضاف بحزم: «أنا لم أضع حتى إصبعاً عليها».

فتمتمت: «أراهن على ذلك!».

فتابع يقول بهدوء وقد توتر فكه: «في الصباح التالي تناولنا الفطور



معاً ثم أرسلتها إلى بيتها في سيارة أجرة بينماتوجهت أنا إلى المكتب. وبعد ساعة من ذلك أو نحوها، كنت واقفاً بجانب النافذة أملي بعض الرسائل على السيدة ولدون، عندما انفتح باب المكتب بقوة واندفع منه شاب غريب ثم...»

ـ فضربته أنت...

ـ نعم، ضربته.

ـ لا بد أنك كنت مسروراً من نفسك.

تجاهل سخريتها وتابع يقول: «ولكن بعد أن طرحني أرضاً أولاً».

ـ يطرح رجلاً قوياً كبير الجسم مثلك؟

ـ إذا كنت أتذكر جيداً، كان بمثل طولي، ويزيدني بعدة أرطال.

ـ كان مجرد فتى.

ـ ذلك الفتى كما تسميه فاجأني. ثم، قبل أن أدرك ما يجري، وجدتني مستلقياً على ظهري وهو يضع حذاءه في...

ـ لا أصدقك.

ـ إنها الحقيقة. واتهامك بأنني ضربته ليس له ما يبرره شارلوت. كل ما فعلته كان دفاعاً عن النفس. وإذا لم تقبلي كلامي يمكنك أن تسألي السيدة ولدون والمستشفى حيث عولجت فيما بعد وتبيّن أن لديّ ضلعين مكسورين.

تجاهل وجهها المذعور وتابع بصوت هادىء: «عندما عرفت من يكون وما الذي كان يزعجه أخبرته بالحقيقة الكاملة عما حدث. لكنه أخبرني بأن أذهب إلى جهنم وأوضح أنه لم يصدقني لا أنا ولا خطيبته. وخلق من الإزعاج ما جعلني أطلب إخراجه من المبنى».

ـ تعني أنك طلبت أن يطردوه؟

ـ فسّري ذلك كما شئت.

ـ ولم تشعر بلحظة ندم للدور الذي قمت به.

- لا. لم أندم لكنني شعرت ببعض العطف عليه بعد أن أدركت كيف بدا الأمر له... أسفت لأنني، دون قصد، أشعلت كل شيء من شرارة. قبل أن أذهب إلى المطار عصر ذلك اليوم، تركت رسالة لتلفورد أخبره باختصار بما حدث وطلبت منه أن يمنح أخاك وقتاً يهدأ فيه، ثم يعيده إلى وظيفته. وبالنسبة إليّ انتهى الأمر عند هذا الحد. وعدا عن عدم ارتياحي جسدياً، لم أفكر فيه إلا نادراً. ثم سمعت بالخبر المأساوي عن موته إثر تناوله شراباً فيه مزيج من الحبوب المخدرة.

- ومع ذلك لم تشعر بالذنب.

- شعرت بأنني ملوم جزئياً، ولهذا اتصلت بالآنسة جيفري أعزيها ثم حضرت الجنازة.

لم تكن تعرف هذا. لقد أغفلت الصحف ذكر ذلك لأمر ما، وهذا غريب. وكأنما قرأ دانييل أفكارها فقال: «تفادي الصحافة لم يكن سهلاً».

- وكيف استطعت ذلك؟

- لم أشأ أن أضيف مزيداً من الوقود إلى النار، وهكذا وصلت إلى الكنيسة باكراً جداً فمنحني الكاهن حق استعمال غرفة بمفردي. وبعد انتهاء الطقوس في الكنيسة عدت إلى تلك الغرفة. وفي ذلك المساء تحدثت طويلاً مع الآنسة جيفري. وكانت متكدّرة جداً وقد لامت نفسها لما حدث. وما انفكت تقول: «يا ليتني عالجت المشكلة بشكل مختلف! يا ليتني أمضيت تلك الليلة في البيت!».

- يا ليتها فعلت... لكان تيم ما زال حياً الآن لو أنك وهي لم...

وخنقتها غصة فسكتت.

- إذن أنت ما زلت تظنيني كاذباً؟

- وماذا أظنك غير ذلك؟

- يمكنك أن تحاولي أن تصدقيني.



- ربما كنت لأصدقك لو أنك لم تحضرها إلى هنا وبذلك تستمر علاقتكما...

وعندما أخذ يهز رأسه صرخت: «أنا أعرف أنها في نيويورك فقد رأيتها بأم عيني فلا تحاول الإنكار».

- لا أنوي الإنكار لكنك مخطئة في ظنك أنها هنا لأن بيننا علاقة.

أرادت أن تصدقه فلم تستطع: «أخبرني رينشارد أنك نقلتها إلى هنا. لأي سبب تفعل هذا لو لم تكن بينكما علاقة؟».

- عرضت عليها الوظيفة في نيويورك بعد أن قدمت استقالتها لأنها لم تعد تستطيع البقاء حيث هي.

- ولماذا لم تعد تستطيع البقاء حيث كانت؟.

- بعض الموظفين هناك صدقوا ذلك الزعم الذي نشرته الصحف، فجعلو الحياة صعبة عليها. وبما أنني تورطت في الأمر، شعرت بأن عليّ أن أهتم بها لو كنت بريئاً. ومن حسن الحظ أن نقلها نجح بشكل جيد...

- أنا واثقة من ذلك. وهذا ما يبدو في الواقع. نجح بشكل جيد بالنسبة لكل شخص ما عدا المسكين تيم.

قالت شارلوت هذا بمرارة، فقال: «أوافقك على أن أخاك كان ضحية، لكنه كان ضحية الظروف، ضحية ضعفه وليس...»

قبضت يديها هائجة، وقفزت واقفة وهي تصرخ: «إياك أن تجرؤ على انتقاد تيم! لولاك ولولا تلك...»

وغطت وجهها بيديها وانفجرت باكية.

عندما اقترب منها ليأخذها بين ذراعيه حاولت أن تقاومه: «دعني وشأني، تباً لك».

رغم مقاومتها له احتضنها ثم جلس وجذبها إلى صدره.

بعد موت تيم ظلّت تتنقل ما بين الصدمات ونوبات الحزن والألم

والغضب العديم الجدوى، لكنها لم تبك لأجله قط في الواقع. وها هي تفعل ذلك الآن.. وأخذ الحزن والأسى يتقاطران منها كما يتقاطر الدم من جرح مفتوح.

وضع دانييل رأسها على كتفه وتركها تبكي فترة قبل أن يقول بهدوء: «أنا أعرف كم كنت تحبين أخاك، ولا بد أنك شعرت بصدمة هائلة حين عدت ووجدته ميتاً. ومن الطبيعي أن تحتاجي إلى شخص تلومينه ولكن...»

فقالت وهي تشهق: «أنا ألوم نفسي. لو كنت هناك لأهتم به...»

ـ لا تكوني حمقاء، لم يكن تيم صبياً بل رجلاً في الثانية والعشرين تقريباً وبإمكانه الاهتمام بنفسه وتحمّل مسؤولية تصرفاته. لا يمكنك لوم نفسك. إذا نظرنا إلى الوراء، نتمنى جميعنا لو قمنا ببعض الأشياء بشكل مختلف. ولكن ما حدث قد حدث ويجب ألاّ نسمح له بأن يسمّم المستقبل بالندم والشعور بالذنب دون جدوى.

ناولها منديلاً وهو يحثها بقوله: «هيا، امسحي دموعك الآن».

أخذت شارلوت تمسح وجهها، فأضاف يقول بلهجة واقعية: «حان الوقت لنأكل شيئاً. بعد نزهتنا تلك لا بد أنك تشعرين بالجوع لأنني أنا كذلك».

كانت بحاجة إلى وقت تقضيه وحدها لتنظم أفكارها، لذا تمالكت نفسها وسألته: «أتريدني أن أطهو الطعام؟».

وقف وهز رأسه: «حالما تستعدين، سنذهب إلى مطعم «مارشيز» لتتناول العشاء. لدينا مائدة محجوزة في السابعة والنصف».

شعرت بالدهشة ثم قالت بصوت ثخين: «في عيد الميلاد؟ لم أكن أعرف أن المطاعم تفتح أبوابها في مثل هذه الليلة؟».

ـ ما سنذهب إليه ليس مطعماً عادياً. إنه فندق، وهو جزء من مجمّع للعطلات. رغم أنهم سيقدّمون دون شك عشاء العيد التقليدي الليلة،



إلا أن طعامهم هو عادة فاخر تماماً. وسيكون هناك موسيقى ورقص وجو حفلة حقيقي.

مع ما يتملكها من تشوّش واكتئاب إلى صداع ابتدأت تشعر به، لم تشعر برغبة في دخول جوّ الحفلات: «أفضّل أن لا أذهب، إذا لم يكن لديك مانع».

فقال بحزم: «بل لدي مانع. في رأيي أن الخروج سيفيدك».

تملكتها ثورة. آخر شيء تريده في مزاجها الحالي هو أن تستفيد.

ـ والآن، اذهبي واستعدي... يا لك من فتاة طيبة!

تعمده النطق بالكلمات الأخيرة الاستعلائية التي تقال عادة لبنت صغيرة أنبأها بأنه يقصد أن يغيظها. ألم يقل لها مرة إن التعامل مع الغضب هو أسهل من التعامل مع الكآبة؟.

وقررت أن تُفشل قصده فقالت: «أنا متعبة قليلاً، ولست جائعة تماماً كما أن صداعاً ابتدأ يتملكني».

ذهب إلى المطبخ وعاد بعد لحظة بحبتين صغيرتين وكأس ماء: «ابتلعي هاتين فيزول صداعك بسرعة».

وعندما أطاعته وابتلعتهما، لمعت عيناه وقال متحدياً: «إذا وجدت أنك ما زلت تريدين البقاء في البيت، يمكننا أن نتقاسم علبة حساء وننام باكراً مرتاحين».

تملكتها رعشة... جو الحفلة والاختلاط بالناس سيكون أفضل من البقاء وحدها مع دانييل في البيت. ذلك أن مشاعرها لم تكن تحت السيطرة تماماً. فإذا ثارت مرة أخرى، ربما ستجد نفسها متمسكة بالمواساة التي لا بد أن يقدمها لها.

أخذ دانييل يراقب تغير ملامح وجهها، وإذا به يبتسم فجأة ابتسامة عريضة: «أتراني ربحت، أم أنني ربحت؟».

ـ نعم، لقد ربحت.

خفق قلبها لابتسامته غير المتوقعة وأضافت: «هذا إذا جرؤت على الظهور معي! لا بد أنني أبدو مخيفة».

رفع ذقنها بإصبعه وتأمل عينيها المنتفختين ووجهها الملطخ: «لا تقلقي يا حبيبتي. رغم أنك تبدين كئيبة مهمومة، إلا أن لا شيء لا يستعصي على الغسل بالماء البارد».

للحظة واحدة فقط هزتها كلمة حبيبتي هذه، ووجدت نفسها تفكر، وقد ثارت عواطفها، لو أن الظروف كانت مختلفة... لو أنها حقاً حبيبته...

لكن كلمة تحبب عفوية مثل هذه هي عملة رخيصة دون شك، إنها جزء من بضاعته. فرجل مثل دانييل ليس لديه وقت للحب أو الالتزام.

تراجعت إلى الخلف فجأة فسقطت يده إلى جانبه.

نظر إليها وهمّ بالكلام فتملكها ذعر غريب مما قد يقوله، فاستدارت هاربة.

بعد أن غسلت عينيها ووجهها بالماء البارد شعرت بتحسن بالغ. ارتدت ثوبها الأزرق الذي ارتدته ليلة أخذها إلى «لاهافانا» وجعلت شعرها الأحمر الذهبي على شكل كعكة فوق رأسها، ثم وضعت زينة وجهها بعناية.

كانت على وشك أن تضع الرداء حول كتفيها عندما خطرت لها فكرة فتوقفت. لم يقل دانييل كيف سيذهبان إلى «مارشيز». ربما عليها أن ترتدي ما يناسب الركوب في كاسحة الثلج.

حملت الرداء على ذراعها واتجهت إلى غرفة الجلوس. لكن لم يكن هناك أثر لدانييل. وفي تلك اللحظة انفتح الباب الخارجي ودخل مرتدياً معطفاً قصيراً: «أراك جاهزة، وتبدين جميلة للغاية».

بدا صوته أجش ونظراته لامعة كأنها تخدش بشرتها، وقالت متلعثمة: «لم... لم أكن واثقة مما ألبس. كيف سنذهب إلى



هناك...؟».

ـ هذا حسن جداً.

وتناول من يدها الرداء ووقف خلفها ليضعه حول كتفيها. شعرت به يتردد لحظة، و شعرت بحرارة أنفاسه على رقبتها، وانتظرت مبهورة الأنفاس أن يعانقها...

لكنه، بدلاً من ذلك، تراجع إلى الخلف وهو يقول بهدوء: «مارشيز» يبعد أقل من ميل عنا، ولو كان الوقت صيفاً لتمشينا إلى هناك، إنما الآن السيارة هي الأنسب».

عدا عن التوتر الذي ساد بينهما، بدا دانييل وكأنه يخطط لهدف ما... وكأنه يعدّ نفسه لمعركته الشخصية الفاصلة.

* * *

# ١٠ ـ لوّعها الحب، فبكت

في الخارج كانت السيارة بانتظارهما. وكانت النجوم تضيء سماء الليل التي تخلو إلاّ من غيمة واحدة راحت تتشكّل وتنتشر أشبه بسلسلة جبال تغطيها الثلوج. بدا المشهد الثلجي تحت ضوء القمر ساكناً موحشاً لولا نسمات شاردة تحرك أغصان أشجار الصنوبر الخضراء لتنفث عنها الثلوج فتقع متناثرة هنا وهناك.

عندما استقرا في دفء السيارة، قادها دانييل بحذر. وبعد حوالى مئة ياردة، استدار إلى طريق جانبي خلال الغابة.

رأت شارلوت أنواراً تتألق من بعيد. وما هي إلاّ لحظات حتى وصلا إلى الفندق.

كان هناك عدد كبير من السيارات في الموقف، لكن دانييل وجد مكاناً شاغراً وضع فيه سيارته.

حالما تركا السيارة سمعا أنغام الموسيقى. كان الباب مفتوحاً على ردهة مفروشة بالسجاد فيها غرفة للمعاطف من جهة ومدفأة حطب مشتعلة من الجهة الأخرى.

رفع دانييل رداء شارلوت عن كتفيها ثم تركه مع معطفه قبل أن يتجها إلى قاعة المطعم ذات الزينة الوافرة.

للوهلة الأولى، بدت كل الموائد المنتشرة حول حلبة الرقص مشغولة، وكانت الموسيقى تمتزج بالأحاديث والضحك.



استقبلهما رجل حسن المظهر في الخمسينات من عمره: «السيد وولف والآنسة ميشيل! ما أشد سروري لتمكنكما من الحضور».

وتصافح الرجلان: «كيف حالك يا بيل؟».

ـ بخير، شكراً.

قادهما الرجل إلى مائدة بعيدة عن بقية الموائد وعن صالة الرقص معاً: «هل تناسبكما هذه المائدة؟ إذا شئتما يمكنني أن أنقلكما إلى مائدة أقرب إلى الموائد الأخرى والحلبة».

فقال دانييل: «لا، هذه جيدة جداً. شكراً».

عندما جلس الاثنان، خفض بيل صوته وقال: «أنا أعلم جيداً أن يوم العيد غير مناسب للحديث عن العمل، لكنني سمعت عصر اليوم همساً هاماً يتناول قطعة الأرض التي كنا نتحدث عنها الشهر الماضي... وهكذا، إذا أمكنك أن تمنحني دقيقة واحدة قبل أن تذهب...؟»

التفت دانييل إلى شارلوت وسألها بأدب: «إذا لم يكن لدى ضيفتي مانع».

فأجابت على الفور: «لا، طبعاً لا».

فقال دانييل له: «إذن سآتي إلى مكتبك فيما بعد».

بدا على الرجل الارتياح وأسرع مبتعداً: «شكراً، استمتعا بالطعام الآن».

فقال دانييل لها: «آسف لذلك. لكن بيل مهتم بشراء قطعة أرض مجاورة، لأنه يخطط لتوسيع «مارشيز»، وقد وافقت أنا من حيث المبدأ».

ظهر نادل إلى جانب دانييل بطبق من «الهورس دوڤر» وعندما ابتعد النادل سألها بقلق: «أما زلت تشعرين بالصداع؟».

ودون تفكير قالت: «لا».

فقال بابتسامة ساخرة: «آه، إذن كنت تتوقّينه فقط».

فتملكها الضيق... تباً له من رجل! بمكنه قراءة أفكارها كما يقرأ



www.elromancia.com

في كتاب. احمر وجهها وحوّلت نظراتها بعيداً، وما إن عادت ونظرت إليه من جديد حتى لاحظت أنه ينظر إلى الأعلى، ثم يحني رأسه وكأنه يرى شخصاً يعرفه.

وفي هذه اللحظة، وصل طعامهما.

لكن دانييل لم يأكل سوى القليل ولم يتكلم كثيراً. وبدا عليه التوتر... والانتظار، وهذا ما جعل شارلوت تشعر بتوتر الأعصاب.

وفي اللحظة التي أنهى فيها قهوته، سكب لها فنجاناً آخر ثم اعتذر بأدب ليذهب إلى مكتب بيل.

بعد ذهابه بلحظة أو لحظتين، اقتربت منها امرأة شقراء جميلة، امرأة تعرفها شارلوت جيداً.

إذن فهذا ما سبّب التوتر لدانييل؟.

برأس عالٍ ووجنتين محمّرتين بشكل غير طبيعي، قالت جانيس: «أرجو أن لا يكون لديك مانع من مجيئي بهذا الشكل، ولكن...»

ـ آسفة لأن رؤية دانييل فاتتك.

قالت شارلوت هذا ببرودة، لكن الفتاة هزت رأسها: «إنه يرى أن من الأفضل أن أتحدث إليك على انفراد، هل يمكنني أن أجلس؟».

بينما أخذت تتصارع مع أفكارها المشتتة لم تستطع أن تجيب، وما لبثت جانيس أن جلست على الكرسي الذي تركه دانييل لتوّه وقالت بسرعة: «أرجوك أن تصغي إلى ما أقول...»

بدت متلهفة قلقة وهي تتابع: «أنا أعلم أنك لن تحبي ما سأخبرك به، لكنني...»

ـ لست بحاجة إلى أن تخبريني بشيء، فقد سبق وعلمت.

ـ أتعلمين حقاً؟ لقد قال تيم إنه استطاع أن يخفي ذلك عنك. ولسبب ما، لم تحاول الصحافة أن تنبش هذا الأمر، ربما.. لأنها ركزت على تورّط السيد وولف.



فسألتها شارلوت فجأة: «تنبش ماذا؟».

ـ أن تيم كان مدمناً على المخدرات.

شحب وجه شارلوت وقالت بحدة: «لا أصدّق ذلك! أنا أعلم أنه اعتاد على شرب الكحول عندما أخذ يختلط مع تلك المجموعة الطائشة المتهورة في الكلية. لكنه دوماً كان يقسم أنه حريص على الابتعاد عن المخدرات».

ـ هذا ما أخبرني به أيضاً عندما انتقلنا للسكن معاً، لكن ذلك لم يكن صحيحاً. عندما مات، لم تكن تلك المرة الأولى التي يتناول فيها خليط الشراب والمخدر، كما اعتقد الجميع. في أكثر من مناسبة كاد يموت وكان ينجو بمعجزة. في المرة الأولى وجدته غائباً عن الوعي فتملكني الذعر وكنت سأتصل بالمستشفى لولا أنه استيقظ ومنعني. حينذاك اعترف لي بأنه مدمن على المخدرات...

فهمست شارلوت: «آه، رباه».

ـ أقسم لي بأنه سيتمكن من السيطرة على نفسه، ولكن ما إن كان يخرج مع أصدقائه ويبدأون بالشراب حتى يفقد كل إحساس بالمقاومة. وفي كل مرة كان يعدني بأنه سيتخلص من هذه العادة. توسلت إليه أن يطلب العون لكنه قال إنه لا يحتاج إلى عون من الخارج وإن بإمكانه أن يفعل ذلك وحده.

«وفي الصباح الذي ابتدأ به كل شيء، نهضت لأجده ملقى في الحمام وآثار الشراب والمخدر تعيقه عن الذهاب إلى العمل، قلت له حينذاك إن ليس في نيتي أن أبقى هنا لأراه يقتل نفسه، ثم أعدت إليه خاتمه. ذلك المساء عندما تركت العمل كان المطر يهطل بغزارة فعرض السيد وولف عليّ أن يوصلني. سألني عمّا بي، ولسوء الحظ انفجرت في البكاء ونحن في سيارة الأجرة فأخذني إلى فندقه ودعاني إلى العشاء. أخبرته بأنني أنهيت خطبتي لكنني لم أخبره بالسبب. خفت أن يطرد تيم من العمل إذا علم

أنه مدمن على المخدرات. وعندما حان وقت ذهابي إلى البيت لم أستطع مواجهة ذلك فانفجرت بالبكاء، فما كان من السيد وولف إلا أن استأجر لي غرفة في الفندق وفي الصباح أصرّ عليّ أن أتناول إفطاراً، ثم أرسلني إلى البيت في سيارة أجرة. وعندما سألني تيم أين كنت طوال الليل أخبرته بكل شيء لكنه لم يصدقني. قال إنه فهم الآن لماذا أعدت إليه خاتمه... لأنني حصلت على سمكة أكبر. قلت له إن الأمر كان بريئاً تماماً...

ـ وهل كان كذلك حقاً؟

ـ طبعاً كان كذلك...

لم يكن ثمة شك في نبرة الحقيقة في جواب الفتاة التي تابعت تقول: «لا أتصور أن أحداً يمكنه أن يصدق لحظة أن رجلاً بإمكانه أن يحصل على أجمل النساء كالسيد وولف سيهتم بأمثالي».

ـ هذا ما تصورته الصحف بكل تأكيد.

ـ العراك الذي افتعله تيم في المكتب هو الذي جعلهم يظنون ذلك. ما كان أحد ليهتم بموت تيم لو أن السيد وولف لم يكن متورطاً في الأمر. ما إن اشتمت الصحافة أن له علاقة بالأمر حتى لحقت به كقطيع ذئاب. ولكن رغم أنهم جعلوا حياته تعيسة، فقد جاء إلى الجنازة. رأيت ذلك شهامة كبرى منه لأنه لم يكن مضطراً إلى التورط أكثر مما حدث له. وفيما بعد، دار بيننا حديث طويل. حدثته بكل شيء عن تيم وإدمانه، وعن أسفي البالغ لأنني رغم حبي له لم يكن بإمكاني أن أساعده. أنا آسفة، أعرف أنك لا بد تلومينني لموته... آسفة لأنني تركته تلك الليلة بذلك الشكل، لكن صبري كان قد نفد... دوماً أتمنى لو كنت من الشجاعة بحيث أخبرك بالأمر، لكن تيم كان عنيداً للغاية في رفضه أن تعلمي... ربما كان بإمكانك أن تنقذيه.

فقالت شارلوت بحزن، بعد أن حصلت على الراحة النفسية التي كانت تحتاجها: «أشك في ذلك كثيراً. ما دمت أنت التي كان يحبها ويريد



أن يتزوجها، لم تستطيعي أن تفعلي ذلك».

فتنهدت جانيس: «بقيت ألوم نفسي مدة طويلة وما زلت أفعل ذلك بطرق مختلفة... رغم أن علي أن لا أدع مارتن يسمعني أقول ذلك. لقد وعدته أن أبذل جهدي لكي أضع الماضي ورائي».

ـ أتظنين أن بإمكانك القيام بذلك؟

ـ لست واثقة. ربما سيساعدني في ذلك هذا الحديث معك. يا ليتني كنت من الشجاعة بحيث فعلت ذلك من قبل! لكنني شعرت بأنك لا بد ستلومينني بينما أنا لا أستطيع أن أحتمل المزيد. كل ما كنت أريده هو أن أنتهي من كل هذه الورطة التعيسة. وهذا هو السبب الذي دفعني إلى الموافقة على الانتقال إلى نيويورك عندما عرض السيد وولف ذلك علي.

ـ فهمت من دانييل أن قدومك إلى هنا نجح بشكل جيد.

تردّدت جانيس ثم اندفعت تقول: «لا أدري ماذا سيكون شعورك بالنسبة إلى ذلك. لكنني أنا ومارتن أعجبنا ببعضنا البعض منذ النظرة الأولى، وهكذا عقدنا خطبتنا...»

إذن، كان دانييل يقول الحقيقة؟ ودار رأس شارلوت ارتياحاً. وسألتها: «مارتن؟ مارتن شاوكروس؟».

وهكذا اتضح كل شيء.

ـ والداه يملكان «مارشيز» و...

وسكتت جانيس عندما جاء دانييل ومعه رجل أشقر قصير الشعر. تفحّصت عيناه وجه شارلوت ثم قال: «هل يمكن أن أقدم إليك مارتن شاوكروس؟ هذه شارلوت ميشيل يا مارتن».

مدت شارلوت يدها مصافحة: «أهلاً وسهلاً».

مارتن، بوجهه البدين وعينيه الكهرمانيتين والذي يبدو لطيفاً حسن الطباع، صافحها وقال ببشاشة: «ما أجمل أن أتعرف إليك أخيراً، يا آنسة ميشيل!».

ـ كانت شهامة منك أن تسمح لي بالإقامة في شقتك.

ـ أرجو أن إقامتك هناك لم تكن مزعجة.

فقالت كاذبة: «لا، أبداً».

وقال دانييل: «ألا تجلسان معنا؟».

بعد نظرة استفهام سريعة من مارتن إلى جانيس أجابت هذه الأخيرة بابتسامة خفيفة: «شكراً. يسرنا ذلك».

أشار دانييل إلى النادل ليحضر كرسيين آخرين، وقال مارتن: «أظنكما سبق وتناولتما العشاء؟».

عندما أومأ دانييل تابع مارتن: «نحن تعشينا في منزل جدتي، فقد ذهبنا لزيارتها كي نزف إليها الخبر الطيب».

نظر بحذر إلى شارلوت وكأنه يخشى ردة فعلها، ثم وضع ذراعه حول خصر جانيس وقال بحزم: «لقد عقدنا خطبتنا لتوّنا».

ـ نعم، أعلم ذلك فقد أخبرتني جانيس. وأنا مسرورة جداً لأجلكما.

بدا الارتياح واضحاً على وجهه، وقال دانييل وصوته صدى لذلك الارتياح: «هذا يستدعي الاحتفال».

وفي العاشرة والنصف اعتذر دانييل بحجة أنهما راجعان إلى نيويورك في الصباح وسوف يرحلان في وقت مبكر.

وبعد أن ودعا الخطيبين وارتديا معطفيهما، صعدا إلى السيارة فانطلقت بهم وأفراد الأسرة يلوحون لهما مودعين.

عندما وصلا إلى البيت قفز من السيارة وأمسك بيدها ينزلها. دخلا وخلع عنها الرداء وعلقه مع معطفه ثم انضم إليها أمام المدفأة.

رغم إنها تعمدت الجلوس على الأريكة لكي يجلس بجانبها، إلا أنه جلس على كرسي منفصل. وهبط قلبها...

وبعد لحظة، اخترق صوته الصمت: «أظن أن هذه الليلة كانت



صعبة بالنسبة إليك».

ـ هل رتبت الأمر مع جانيس لتتحدث إليّ؟.

ـ بما أننا كنا قريبين من بعضنا البعض، وجدتها فرصة مثالية للحديث. لم أفهم كيف أنك طوال الوقت لم تكوني تعلمين بإدمان تيم على المخدرات.

ـ كان يفترض بي أن أعلم قبل الآن. لو أنني تكهنت...

ـ وكيف تعلمين وهو يخفي الأمر عنك؟ حتى الصحف لم تذكر ذلك، كذلك الآنسة جيفري ما كانت لتعلم لولا انتقالهما ليعيشا مع بعضهما البعض.

فتنهدت: «يا ليتني كنت أعلم! ربما كان هناك ما يمكنني أن أفعله».

ـ أشك في ذلك. أظنه كان سيبقى على وعوده الفارغة لك كما كان يفعل مع خطيبته.

ـ ربما أنت على حق. لا بد أن الأمر صعب.

ـ إذن فأنت لن تلوميها بعد الآن؟.

ـ لا. أظنها بذلت جهدها. كانت بحاجة إلى أن يتعاون هو معها لكي ينجح الأمر.

ـ وهل أنت سعيدة لأنه لا يوجد ولم يوجد قط علاقة بيننا؟.

ـ نعم، وأنا أدين لك بالاعتذار.

فهز رأسه: «لا ألومك لظنك ذاك. عندما رفضت أن أتعاون مع الصحفيين، ذهبوا إلى المدينة للتنقيب. لكنني أسفت لأجل الآنسة جيفري فقد كانت تحب تيم حقاً».

ـ الحب لا يحل كل المشاكل.

نهض دانييل واستند إلى رف المدفأة وعلى وجهه مزيج غريب من التصميم والإذعان: «أخبريني يا شارلوت. هل عرفت الحب الحقيقي في



www.elromancia.com

حياتك؟».

توقف قلبها عن الخفقان: «لماذا تسأل؟».

ـ من باب الفضول.

عندما لم تجب قال: «أنت لم تخبريني بعد لماذا تركت منزل «الزنابق» فجأة. لماذا لم تحملي نفسك على البقاء وإكمال الانتقام الذي كنت قد خططت له؟ لا بد أنك عرفت أن مشروعك في طريق النجاح، وكان سهلاً أن... إلا إذا كنت قد اكتشفت أنك على وشك أن تغرقي... ولأنني رئيسك، لم تستطيعي المجازفة في أن تتورطي عاطفياً... أليس هذا هو الأمر؟ ألم تكوني في خطر الوقوع في غرامي؟».

تمالكت نفسها بشكل ما، ووضعت في صوتها قدر ما أمكنها من الازدراء وقالت: «هل تتصور حقاً أنني قد أقع في غرام رجل يعتبر النساء أشياء للعبث؟».

فسألها بهدوء: «عدا عن قصص الصحف الساقطة، ما الذي يجعلك تظنين أنني أعتبر المرأة للعبث؟».

ـ أنت أخبرتني بنفسك أنك تفضل العلاقات دون ارتباطات وإنما على أساس التسلية فقط.

ـ ليس هذا ما...

ـ وفيما بعد أثناء حديث دار بيننا قلت إنك سعيد بأن تكون علاقتك بالنساء لمجرد التسلية...

وسكتت، حين تقدم منها خطوة واحدة وأمسكها بمرفقيها ليوقفها: «إذا عدت بتفكيرك إلى الوراء ربما تتذكرين أنني قلت: «حتى الآن كنت سعيداً بأن تكون علاقتي بهن لمجرد التسلية»...».

ونظر إلى وجهها وقال برقة: «لكنك لست من نوع النساء اللاتي يمتحن أنفسهن بخفة. فلماذا سمحت لي بمعانقتك يا شارلوت؟».

ـ لا بد أنك سمعت عن لحظات الضعف.



ـ لم أسمع عنها فقط وإنما جربتها مرات كثيرة، ولهذا أعرف الفرق بين الحب والضعف. الحب أهم وأكبر بكثير.

وأضاف بلهجة ذات معنى: «وهو يطلق الألسن أيضاً. عندما عرفت أنك زرت مكاتبنا...»

ـ وكيف عرفت؟.

ـ كانت مسألة حظ. عندما انتهى الاجتماع، اصطدمت بالآنسة جيفري. كانت متكدرة لأنها لم تقف لتتكلم معك رغم أنها علمت أنك هنا في أميركا، إلا أنها فوجئت برؤيتك في الردهة. ولكن، لنعد إلى موضوعنا. عندما سألت موظفة الاستعلامات قالت إنها رأت ريتشارد يحمل حقيبتك، فذهبت لأبحث عنه وإذا بي أعلم أنه سافر إلى فلوريدا. عندما لم أجد أثراً لك في الشقة، أو في أي مكان آخر، ظننتك ذهبت معه، فأمضيت ليلة أرقة كنت أتصوركما أثناءها، معاً. وعند الصباح قمت بما كان عليّ القيام به منذ البداية. لو كنت في كامل عقلي لعلمت أنه سافر وحده. ذلك أن اسم الآنسة ميشيل لم يكن في أية رحلة بالطائرة. عندئذٍ اتصلت به هاتفياً. احتج في البداية ولم يشأ أن يقول كلمة واحدة. ولكن، بدلاً من أن أهدده بأن أذهب إليه وأضربه، كما تصورت أنت، أخبرته بالحقيقة. وعندما اقتنع أعطاني عنوانك وتمنى لي حظاً طيباً.

ـ أية حقيقة؟.

ـ أنني أحبك.

عندما وقفت جامدة تماماً، مال نحوها وأراح جبهته على جبهتها: «أنا أعني ذلك يا شارلوت. أنا أحبك وأريد أن أتزوجك».

لم تستطع شارلوت استيعاب البهجة التي فاضت في داخلها. واغرورقت عيناها بالدموع عندما تابع يقول: «وكنت أرجو متلهفاً أن يكون شعورك نحوي مماثلاً لشعوري نحوك».

وعندما سكت بقيت واقفة والدموع تنهمر على خديها. تراجع دانييل وهو يقول بشكل مفاجيء: «أم تراني اقترفت غلطة فظيعة؟».

فهمست: «لا، أنت لم تغلط».

ـ لماذا تبكين إذن؟

ـ فقط لأنني سعيدة للغاية.

***

عندما فتحت شارلوت عينيها في الصباح التالي، كانت الساعة الحادية العشرة والنصف.

كانت مستلقية في السرير لكنها كانت تشعر بخفة وكأنها تسبح فوق الغيوم. استدارت إلى الجهة الأخرى لتلقي نظرة على دانييل الذي ينام في السرير الآخر.

تحركت بحذر ونظرت إلى وجهه. كان ما يزال نائماً وأهدابه الكثيفة على وجنتيه، وقد غطت لحيته النابته فكه.

إنه حبيبها... ويريد أن يتزوجها..

أخبرها بذلك مرة بعد مرة بينما كان يمسح دموعها برقة. ثم أجلسها على الأريكة، وأخرج علبة صغيرة: «إنها هدية العيد لك... وفي الوقت المناسب».

كان هذا عندما دقت الساعة الثانية عشرة.

ـ ولكن ليس لدي ما أهديه إليك.

ـ لا تقلقي يا حبيبتي، سأفكر في شيء ما.

وفي العلبة رأت شارلوت أروع خاتم رأته في حياتها، تتألق فيه زمردة صافية محاطة بالماس. وعندما وضعه في إصبعها بدا مناسباً ومتألقاً في يدها بروعة أخاذة.

ـ كنت أنوي أن أعطيه لك منذ ثلاثة أيام. ولكن عندما استيقظت ولم أجدك حطمني ذلك... يا ليتك تعلمين يا امرأة، ماذا فعلت بي!



ـ آسفة. سأحاول أن أعوضك عن ذلك.

ـ أنا مسرور بسماع هذا.

وعانقها عناقاً طويلاً... عناق يفوق الوصف في رقته وقوته معاً. لم تعرف شارلوت مثل هذا الفيض من المشاعر من قبل.

لقد اكتشفت الحب بسرعة ولكن بقسوة بسبب الظروف التي أحاطت بهما. إنما الآن تغير كل شيء. أحسّت بسعادة بالغة لم تتصور أنها ستنعم بها من قبل.

نزلت من السرير واقتربت من دانييل في سريره. أخذت تلامس خشونة فكه، والانفلاج في ذقنه...: «استيقظ، أيها الرأس النائم... لم يبق سوى ساعة على موعد الغداء».

وصرخت بدهشة حين انقلب فجأة ليغمرها بذراعه بقوة.

قال وعيناه تلمعان: «هناك وقت كثير أعلمك فيه من هو الرئيس هنا يا آنسة شارلوت».

وسرعان ما رفع جسمه ليجلس بقربها على حافة السرير وعانقها عناقاً جعلها تلهث باضطراب. وعندما تراجع قليلاً رفرفت أهدابها له وقالت بخجل: «آه، لكنني أحب الرجل المسيطر».

ـ هذا أحسن، والآن، ماذا تريدين؟ كوب قهوة أم عناقاً آخر؟.

ـ يبدو كوب القهوة رائعاً الآن.

ـ أستحق ذلك لأنني سألتك.

قال هذا آسفاً ثم ذهب إلى المطبخ.

كان تأثيره عليها بالغاً بل رائعاً، إنه رائع للغاية بكتفيه العريضتين وجسمه الرياضي. أخذت شارلوت تراقبه وقلبها في عينيها.

بعد قليل خرجت إلى غرفة الجلوس فوجدت أن دانييل قد أضرم النار في المدفأة. جلست على الأريكة حالمة، وما هي إلا لحظات حتى عاد بفنجاني قهوة ثم جلس إلى السرير بجانبها.

رشفا قهوتهما بصمت، وكانا قد شارفا على الانتهاء عندما سألته ذلك السؤال الذي يلقيه كل المحبين: «دانييل منذ متى تحبني؟».

فجذبها إليه: «متى تصبح الرغبة المحمومة حباً؟».

ـ أظن... عندما تتملكك، وتصبح هاجساً في نفسك.

ـ في هذه الحالة، أحببتك منذ رأيتك. في ذلك الوقت دعوت ذلك رغبة لكنها تملكتني، ولم أعد أستطيع التفكير في شيء آخر غيرك. وعندما أخبرني تلفورد أن تيم هو أخوك، أردت أن آتي إليك وأوضح كل شيء.

ـ لماذا لم تفعل؟.

ـ فكرت في أن الوقت ما زال مبكراً وأنك بحاجة إلى مزيد من الوقت. خشيت أن ترفضي الاستماع إلي. وهكذا عدت إلى الوطن وحاولت أن أفكر في ما ينبغي عمله، حينذاك خطرت لي فكرة تبادل الموظفين وكنت أرجو كثيراً أن تطلبي أنت النقل.

ـ ماذا كنت ستفعل لو أنني لم أفعل؟

ـ كنت سأفكر في خطة أخرى. لقد انتظرتك طوال حياتي ولم أشأ أن أدعك تضيعين من يدي. هل سيسعدك العيش في نيويورك؟

ـ تماماً، إذا كنت أنت فيها.

ـ سأكون فيها.

ـ بالنسبة إلى نيويورك، ألم تكن قد خططت لنعود إليها اليوم؟

ـ أتريدين أن تذهبي؟

فهزت رأسها: «ليس الآن، رغم أنني أعشق فكرة العودة إلى بيت «الزنابق». أحب أن أبقى هنا عدة أيام أخرى إذا كان لدينا ما يكفي من طعام».

ـ أحضرت السيدة مونرو من الطعام ما يكفينا شهراً كاملاً. وهذا يذكّرني بأنني جائع... ربما السعادة تجلب الشهية.

رأت شارلوت بأن السعادة تناسبه حقاً... فقد بدا أصغر وأكثر



وسامة من أي وقت مضى كما كانت ابتسامته جاهزة وعيناه متألقتين.

ـ وأنت؟ ألست جائعة؟

ـ أموت جوعاً.

ـ هل أقول شيئاً؟ ما رأيك بأن نذهب سيراً على الأقدام إلى المطعم ونتناول غداء احتفالياً. أنا متلهف لأن أخبر البعض بالبشارة.

عندما خرجا كان الثلج يتساقط رذاذاً كالسكر المنخول. وعندما سارا بين الأشجار، سألته شارلوت: «هل كل هذه الأراضي ملحقة ببيتك؟».

ـ نعم. إنها أرض مملوكة تمتد حتى السياج. وغداً، إذا ما استمر تساقط الثلوج، يمكننا أن نتمتع ببعض التزلج.

فقالت بسعادة: «ما أروع هذا!».

وضع دانييل ذراعه حول كتفيها وضمها إليه بحنان: «يا لفتاتي الطيبة!».

كانا يسيران بين نبات السرخس المغطى بالثلج عندما خرجت قليلاً عن الطريق فوجدت بين النبات فسحة مستوية مكسوة بالثلوج لم تطأها قدم. فقالت حالمة: «دانييل، هل جربت أن تنام على بساط من الثلج؟».

انتبه إلى لهجتها وقال بحذر: «لا.»

وما هي إلا لحظة حتى اندفعت راكضة أمامه لترتمي على صفحة الثلج البيضاء وهي تضحك بسعادة بالغة. فما كان من دانييل إلا أن اندفع خلفها. كانت الأرض الطرية وكأنها فراش محشوّ بريش الطيور ورقائق الثلج، تنهمر فتمتزج بذرات الجليد الناعمة على أغصان السرخس الطويلة.

راحا يتمرغان على الثلج متعانقين. بدا امتزاج الحرارة بالبرودة والنار بالثلج غاية في الروعة. ووجدت شارلوت نفسها تفكر في أنها لم تحلم بمثل هذه السعادة طيلة حياتها.

عندما عادت سابحة إلى أرض الواقع، فتحت عينيها ونظرت إلى دانييل فرأت أذنيه حمراوين وعلى أهدابه ذرات ثلج بلورية.

وكأنما شعرت بالذنب فسألته: «أتظنني مجنونة؟».

مسح بعض رقائق الثلج عن وجهها وشفتيها الباردتين ثم ضمها بقوة إلى صدره قائلاً: «دون شك! ولكن، في رأيي، الرجل لا يشعر بالحياة إلا بعد أن يقع في حب امرأة مجنونة مثلك».

***

www.elromancia.com
روماسية